أخبار ابن مُحرز

اسمه ونسبه

أسمه مُسْلم ؛ وقيل : سَلْم ؛ وقيل : عبدُ الله . ويُكْنى أبا الخَطَّاب . مَوْلَى بنى عَبْد الدَّار بن قُصَىّ

وكان أَبُوهُ من سَدَنَة [1] الكَعْبة ، وأصْلُه من الفُرْس . وكان أَصْفَرَ أَحْنَى [2] طَويلاً .

نشأته

كان يَسْكُنُ المدينةَ مَرَّةً ومكّةَ مَرَّةً . فإذا أَتَى المدينةَ أقامَ بها ثلاثةَ أَشْهر يتَعلم الضَّرْبَ من عَزَّة المَيْلاء، ثم يَرجع إلى مكَّة فيُقيم بها ثلاثةَ أَشْهر. ثم شَخَص إلى فارس وأَخَذ غِناءَهم ، ثم صار إلى الشَّام فتعَلَّم أَلْحَان الرُّوم وأَخَذ غِناءهم . فأَسْقَط من ذلك ما لا يُسْتَحْسَن من نَغَم الفريقَيْن ، وأَخذ محاسنَها ، فمَزج بَعْضَها ببَعْضٍ ، وأَلَّف منها الأَغانِي التى صَنَعَها فى أَشْعَار العَرَب ، فأَتَى بما لم يُسْمَع مِثْلُه . وكان يقالُ له : صَنَّاج [3] العَرَب .

وكانتْ به عِلَّةُ الجُذَام . ولم يُعَاشِرْ الخُلفاء ولا خالَط النَّاسَ لأجل ذلك .

هووحنين فى العراق

وذُكر أنّه شَخَص يُريد العِراقَ، فَلَقِيَه حُنَيْن فقال : غَنِّنى صَوْتاً من غِنائِك . فغنّاه بقول أُبن أبى رَبيعة :

وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ فى نَظْمِه ... على واضِحِ اللِّيتِ [4] زانَ العُقُودَا

يُفَصِّلُ ياقُوتَه [5] نَظْمَه ... وكالْجُمْرِ أَبْصَرْتَ فِيه [6] الفَرِيدا

---

(١) السدنة : خدام الكعبة ؛ الواحد : سادن . وكانت السدانة لبنى عبد الدار بن قصى بن كلاب ، فأقرها النبى صلى الله عليه وسلم فى الإسلام .

(٢) أحنى : محدودب الظهر .

(٣) الصناج : اللاعب بالصنج ، وهى آلة ذات أوطار ، مما اختص به العجم . والصنج عند العرب : صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى .

(٤) الليت : صفحة العنق .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « دره » .

(٦) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

فقال له حُنَيْن : كم أَمَّلْتَ من أَهْلِ العِرَاق ؟ قال : أَلْفَ دِينار . فقال : هذه خَمْسمائة دِينار ، فخُذْها وانْصرف. ففَعل . فلمَّا شَاع ما فَعل ، لامَه أَصْحَابُه عليه . فقال : والله لو دَخل العِراقَ لما كان لى معه خُبْزٌ آكُله ، ولاطُّرِحْتُ ثم سَقطتُ إلى آخر الدهر .

obeikandl.com

أخبار العرجي

اسمه ونسبه

هو عبدُ اللهِ بن عَمْرو[1] بن عَمْرو بن عُثمان بن عَفَّان بن أبى العَاصى بن أُمَيَّةَ ابن عَبْد شمْس بن عبد مَناف .

وأُمُّ عَفَّان وجَميع بنى أبى العاصى آمِنَةُ بِنْتُ عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف ابن عُبَيْد بن عُوَيج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ . وأُمُّ عثمان رضى الله عنه أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْز بن ربيعةَ بن حَبيب بن عبد شَمْس . وأُمُّها البَيْضاء أُمُّ حَكِيم بِنْتُ عبد المُطَّلِب بن هَاشِم بن عبد مَنَاف ، عمَّة رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم . وهى وعَبْدُ اللهِ وأبو طالب إخْوَةٌ لِأَبٍ وأُمّ . وأُمّ عمرو بن عُثمان أُمّ أَبانَ بِنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

وكان أَبُوها جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة الدَّوْسىّ قَدِمَ المدينةَ مُهَاجِراً فى خِلافة عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ثم مَضَى إلى الشَّام وخَلّف ابْنَته أُمَّ أَبَان عند عُمر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ وجدتَ لها كُفْئاً فزَوِّجْه بها ولو[2] بِشِرَاكِ نَعْلِه . و إلّا فأَمْسِكْها حتى تُلْحِقها بدار قومها بالسَّراة[3] . فكانتْ عندَ عُمر . واسْتُشْهِد أبوها ، فكانَتْ تدعو عُمَر أباها ويَدْعوها ابْنَته . قال : فإنّ عُمر رضى الله عنه يَوْماً على المِنْبر يُكَلِّم النَّاسَ فى بعض الأَمر ، إذ خَطر على قَلْبه ذِكْرُها ، فقال : مَنْ له فى الجَمِيلة الخَسِيبة بنتِ جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة ، ولْيَعْلَمِ امْرؤٌ مَنْ هو ؟ فقام عُثمانُ بن عَفّان رضى الله عنه فقال : أنا يا أمِير المُؤمنين . فقال : أنتَ لَعَمْرُ الله ! كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا ، وكذا . قال : قد زوَّجتُكها . فعجِّلْه فإنّها مُعَدَّة . ونَزل

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عبد الله بن عمر » . وكذا هو عند ياقوت فى معجم الأدباء .

(٢) شراك النعل : السير الذى على ظهر القدم . يضرب به المثل فى الشىء القليل التافه .

(٣) السراة : أعلى كل شىء ، وهى ثلاث ، وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن .

عن المِنْبَر. فجاء عُثمان رضى الله عنه بِمَهْرِها . فأَخذه عُمر رضى الله عنه فى يَدَيْه ، ودَخل به عليها فقال : يا بُنيّة ، مُدِّى حِجْرك . ففتحت حِجْرَها ، فأَلْقَى فيه المالَ ، ثم قال لها : قُولِى : اللّهم بارِك لى فيه . قالتْ : وما هذا يا أَبَتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنَفَحت به[1] ، وقالت : واسَوْأَتاه ! فقال : اُحْتَبسى منه لنفسك ووسِّعِى منه لأَهلك . ثم قال لحفْصة : أَصْلِحى من شَأْنها ، وغَيِّرى بِزَّتَها[2] ، واُصْبُغى ثَوْبَها . ففعلتْ . ثم أَرسلها مع نِسْوة إلى عُثمان رضى الله عنه . ثم قال عُمر رضى الله عنه لمّا فارقَتْه : إنّها أَمانةٌ فى عُنُقى أَخْشَى أن تَضيعَ بَيْنى و بين عُثْمان ! فَلَحِقَهُنَّ ، فضَرب على عُثمان بابَه ، ثم قال : خُذْ أَهْلَك ، بارك الله لك فيهم . فدخلتْ على عُثْمان ، فأقام عندها مُقَامًا طويلاً لا يَخْرُج إلّا لحاجةٍ . فدخل عليه سَعِيدُ ابنُ العاصى فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أَقَمْتَ عند هذه الدَّوسيّة مُقاماً ما كنتَ تُقيمه عند النِّساء ! فقال : أَمَا إنّه ما بَقيتْ خَصْلةٌ كنتُ أُحِبُّ أن تكون فى امرأة إلّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هى ؟ قال : إنِّى رَجُلٌ قد دخلتُ فى السِّنّ ، وحاجتى فى النِّساء الوَلَدُ ، وأَحْسَبُها حَديثةً لا وَلَد فيها اليومَ . فتَبَسَّمتْ. فلمّا خَرج سَعيدٌ من عنده قال لها عُثمانُ : ما أَضْحَكَكِ ؟ قالت: قد سَمِعْتُ قولَك فى الوَلَد ، وإنِّى لمن نِسْوة ما دخلت امرأةٌ منهن قَطُّ على سيِّد فرأت حَمْراء[3] حتى تلد سيِّداً منه[4] . قال : فما رأت حَمْراء حتى ولدتْ عمرَو ابن عُثمان .

---

(١) نفحت به : رمت به وردته .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « بدنها » . والبدن : شبه الدرع إلا أنه قصير .

(٣) تكنى عن الحيض .

(٤) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « سيد من هو منه » . تريد : حتى تلد من يبذ فى المجد أباه ، أو سيد حيه ورهطه .

وأُمّ عمرو بن عمرو بن عُثْمان أُمُّ وَلَد. وأُمُّ العَرْجىّ آمِنةُ بنت سعيد بن عُثْمان[١]، وأُمّها أُمّ وَلَد.

لقبه وسببه

وإنما لُقِّب: العَرْجىَّ، لأنه كان يسكُن عَرْجَ الطائف[٢]. وقيل: بل سُمِّى بذلك لماء كان له بالعَرْج.

منزلته فى الشعر

وكان من شُعراء قُريش، ومَن شُهِر بالغَزل مِنها، ونَحا نَحْوَ ابن أبى رَبيعة فى ذلك وتَشبّه به وأجاد. وكان مَشْغُوفاً باللَّهْوِ والصَّيْدِ، حَريصاً عليهما، قَليلَ المُحَاشاة لأَحَدٍ فيهما[٣].

تشبيبه بجيداء

ولم يكن له نَبَاهَةٌ فى أَهْلِه. وكان أَشْقَرَ أَزْرق جَميلَ الوجه. وأكثر التَّشْبِيبَ فى جَيْـدَاء، أُمِّ محمد بن هِشام بن إسماعيل المَخْزومىّ. وكان يَنْسُب بها ليفضح ابْنَها، لا لِمَحَبَّـةٍ كانت بينهما. وكان ذلك سَبَبَ حَبْسِـه وضَرْبِه، حتى مات فى السِّجْن.

بلاؤه مع مسلمة

وذُكر أنّه كان من الفُرْسان المَعْدودين مع مَسْلَمة بن عبد الملك بأَرْض الرُّوم، وكان له معه بَـلاءٌ حَسَنٌ ونَفَقَةٌ كثيرة.

من كرمه

وقيل: إنّه باع أَمْوالاً عَظيمةً وأَطْعم ثَمنَها[٤] فى سَبيل الله، حتى نَفِدَ كلُّ ذلك. وكان قد اتّخذ غُلَامَيْن، فإذا كان اللَّيْـلُ نَصَبَ قُدُورَه وقام الغُـلَامان يُوقِدان، وإذا نام واحدٌ قام الآخرُ، ولا يزالُ كذلك حتى يُصْبِح. يقول: لَعَلَّ طَارِقاً يَطْرُق.

شهادة حبشية له بأنه خلف لابن أبى ربيعة

وذُكر أنّه كانت حَبَشِيَّةٌ من مُوَلَّدَات مَكّة ظَرِيفَةٌ، صارت إلى المدينة، فلمـا أَتَاهُم موتُ عمر بن أبى ربيعة اشْتَدَّ جَزَعُها وجعَلَت تبكى، وتقول: مَنْ

(١) هذه رواية. وفى رواية أخرى: «آمنة بنت عمر بن عثمان».
(٢) عرج الطائف: قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف.
(٣) أى قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما.
(٤) فى الأصل: «منها».

لِمَكّة ولشِعَابها و بَطْحائها ونُزَهِها ، ووَصْفِ نِسَائها وحُسْنِهنّ وجَمالِهنّ ، ووصف ما فيها ! فقيل لها : خَفِّضِى عليك ، فقد نَشَأَ فَتًى من ولد عُثْمان رضى الله عنه يأْخذ مَأْخَذَه و يَسْلُك مَسْلَكه . فقالت : أنشِدُونِى من شِعْره . فأَنشَدُوها . فقالت : الحمدُ لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمَه ، ومَسحتْ عَيْنها .

هو وكلابة مولاة العبلى

وذُكر أن مَولاةً لثقيف ، يُقالُ لها : كُلَابَة ، كانت عند عبد الله بن القاسم الأُمَوىّ العَبْلِىّ ، وكان يَبْلُغها تَشْبِيبُ العَرْجىّ بالنِّساء وذِكْره لهنّ فى شِعْره . فكانتْ كُلَابَةُ تُكْثِر أن تقول : لشدَّ ما اجترأَ العَرْجىُّ على نِسَاء قُرَيش ! يَذْكُرُهنّ فى شِعْره . ولَعَمْرى ما لَقِى أحدًا فيه خَيْرٌ ، ولئن لَقِيتُه لأُسَوِّدَنّ وَجْهه . فبلغه ذلك عنها . وكان العَبْلِىّ نازلاً على ماء لِبَنِى نَصْر بن مُعاوية ، يقالُ له : الفُتُق — وهو على ثلاثة أميالٍ من مكّة على طريق من جاء من نَجْران أو تَبالة إلى مكة ، والعَرْجُ أعلاها قليلاً مما يَلِى الطائف — فبلغ العَرْجىَّ أنّه خرج إلى مَكّةَ . فأَتَى قَصْرَه وطاف به ، فخرجتْ إليه كُلَابَةُ ، وكان خَلَّفَها فى أَهْلِه ، فصاحتْ به : إليكَ ، ويلكَ ! وجعلتْ تَرْميه بالحِجارة فتَمْنَعه أن يَدْنُو من القَصْر . فاسْتَسقاها ماءً ، فأبتْ أن تَسْقِيَه ، وقالتْ : لا يُوجَد والله أَتْرُك عندى أبدًا فيَلْصَقَ بى منك شرٌّ . فانصرف وقال: ستَعْلمين ! وقال :

حُورٌ بَعَثْن رسُولاً فى مُلَاطَفَةٍ ... ثَقْفًا إذا غَفَلَ النَّسَّاءةُ (١) الوَهِمُ

إنّ أن إِيتِنا هَدْأً (٢) إذا غَفَلَت ... أحْرَاسُنا وافْتَضَحْنا إن هُمُ عَلِموا

فَجِئْتُ أَمْشِى عَلَى هَوْلٍ أُجَشِّمُه ... تَجَشُّمُ المَرْءِ هَوْلاً فى الهوى كَرَمُ

إذا تَخَوَّفْتُ من شَىْءٍ أقولُ له ... قَدْ جَفَّ فامْضِ بِشَىْءٍ قُدِّرَ القَلَمُ

---

(١) ثقفاً : حاذقاً فهماً . والنساءة : الكثير النسيان . والوهم : الكثير الوهم والسهو والغلط .

(٢) الهدء : الثلث الأول من الليل .

أَمْشِى كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يَمَانِيَةٌ ... غُصْناً من البَانِ رَطْباً طَلَّه[1] الدِّيَمُ
فى حُلَّةٍ من طِرَازِ السُّوسِ[2] مُعْلَمَةٍ ... أعْفو بِهُدَّابِها ما أثَّرَتْ قَدَمُ
خَلَّتْ سَبِيلِى كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ ... إذا رَأَتْه عِتَاقُ الخَيْلِ[3] يَنْتَحِمُ
وَهُنَّ فى مَجْلِسٍ خالٍ ولَيْسَ له ... عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أخْشاها ولا نَدَمُ
حتى جَلَسْتُ إزاءَ البابِ مُكْتَتِماً ... وطالِبُ الحاجِ تحْتَ الليلِ مُكْتَتِمُ
أبْدَيْنَ لى أعْيُناً نُجْلاً كما نَظَرَتْ ... أُدْمٌ هِجَانٌ أتاها مُصْعَبٌ[4] قَطِمُ
قالت كُلابَةُ مَنْ هذا ؟ فقُلْتُ لها ... أنَا الذى أنْتِ من أعْدَائِه زَعَمُوا
أنا امرؤٌ جَدَّ بِى حُبٌّ[5] فَأَجْرَضَنِى ... حَتَّى بَلِيتُ وحَتَّى شَفَّنِى السَّقَمُ
لا تَكِلِينى إلى قَوْمٍ لو أنَّهمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِمُوا لَحْمِى إذاً طَعِمُوا
فأَنْعِمِى نِعْمَةً تُجْزَىْ بأَحْسَنِها ... فطالَما مَسَّنِى من أهلِكِ النِّعَمُ
سَتْرُ المُحِبِّين فى الدُّنيا لعلَّهمُ ... أن يُحدِثوا توبةً فيها إذَا أَثِمُوا
هذى يمينِىَ رَهْنٌ بالوفاءِ لكم ... فارْضَىْ بها ولأَنْفِ الكاشِحِ[6] الرَّغَمُ
قالتْ رَضِيتُ ولكن جِئْتَ فى قَمَرٍ ... هَلَّا تَلَبَّثْتَ حتى تَدْخُلَ الظُّلَمُ
فَبِتُّ أُسْقَى بأَكْوَاسٍ[7] أُعَلُّ بها ... من بارِدٍ طابَ مِنْها الطَّعْمُ[8] والنَّسَمُ
حتى بَدَا سَاطِعٌ للفَجْرِ تَحْسَبُه ... سَنَا حَرِيقٍ لنَارٍ حين يَضْطَرِمُ

(١) طله : أمطره . والديم : الأمطار تدوم فى سكون بلا رعد وبرق ؛ الواحدة : ديمة .
(٢) السوس : بلد بخوزستان . ومعلمة : جعلت فيها علامة . وأعفو : أمحو .
(٣) العذر : جمع عذار ، وهو من الفرس كالعارض بالنسبة للإنسان . وتنتحم ، من النحيم ، وهو صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير .
(٤) المصعب : الفحل الذى يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهى للضراب .
(٥) أجرضنى : أى أهنى وأجهدنى .
(٦) الرغم ، مشددة الراء مع إسكان الغين ، وحركت للشعر : الذل والعسر . والأصل فيه أن يلتصق أنفه بالرغام ، وهو التراب .
(٧) أكواس : جمع لكأس ، لم تذكره كتب اللغة .
(٨) النسم : الريح الطيبة . والذى فى الأصل : « والشبم » .

كغُرَّةِ الفرَسِ المَنْسُوبِ قد حُسِرَتْ عنه الجِلَالُ تَلَالَا وهو[١] يَلْتَجِم
وَدَّعْتُهنَّ ولا شَيْءٌ يُرَاجِعُنى إلّا البَنَانُ وإلّا الأَعْيُنُ[٢] السُّجُم
إذا أَرَدْنَ كَلامِي عِنْدَها اعْتَرَضَتْ من دونها[٣] عَبَرَاتٌ فانْثَنَى الكَلِم
تَكَادُ إذْ رُمْنَ نَهْضًا لِلْقِيَام مَعى أَعْجَازُهنّ مع الأَنْصَافِ تَنْقَصِم

فسمع ابنُ القاسم العَبْلِيُّ بالشِّعْر يُغَنَّى به، وكان العَرْجىّ قد أعطاه جَماعةً من المُغنِّين وسألهم أن يُغنُّوا به . فصنعوا فى أبياتٍ منه عِدَّةَ أَلْحانٍ ، وقال : والله لا أَجِدُ لهذه الأَمةِ شَيْئاً أَبْلَغَ من إيقاعِها تَحْتَ التُّهَمَة عند ابن القاسم ليقطع مَأْكَلَتها من ماله . فلما سَمِعَ العَبْلِيُّ بالشِّعر يُغَنَّى به ، أَخْرَجَ كُلَابَةَ وأُتّهمها ، ثم أَرسل بها بَعْد زَمَانٍ على بَعِير بين غِرَارَتى بَعْرٍ ، وأَحْلَفها بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقَام أَنّ العَرجِىّ كَذَب فيما قاله . فَحَلَفَتْ سَبْعِينَ يَمِيناً . فرضى عنها وردَّها . فكان بَعْد ذلك إذا سَمِع قول العَرْجىّ :

* فطالما مَسَّنِي من أَهْلِكِ النِّعَمُ *

قال : كذب والله ! ما مَسَّه ذلك منّا قط .

وقيل : إن صاحبَ [القَصيدة] والقصة أبو جِراب[٤] العَبْلىّ ، وأَنّ كُلَابَةَ كانت أَمَةً لِسُعْدَةَ بِنْت عبد اللهِ بن عمرو بن عُثْمان بن عَفّان ، وأنّ العَرْجى كان قد خَطَبَها وسُمِّيَتْ به ،[٥] ثم خَطَبها يزيدُ بن عبد الملك ، أو الوليدُ بن يزيد ، فتزَوَّجَتْه ، فقال العرجىّ هذا الشِّعر فيها .

---

(١) المنسوب : الأصيل الكريم . وحسرت : كشفت . والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . ويلتجم : قد ألبس اللجام . تقول : ألجمت الفرس ، فالتجم .

(٢) السجم : السائلة بالدموع ؛ الواحدة : سجوم .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « عنده .... من دونه ... »

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبو حراب » .

(٥) أى عرف عند الناس أنها خطيبته .

وأبو جراب العَبْلِيّ ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث ابن أُمَيَّة الأَصْغر بن عَبْد شَمْس .

مسلمة وأيوب وأشعب فى شعر العرجى

وذَكر مَسلمة بن إبراهيم بن هِشام قال :

كنْتُ عند أيّوب[1] بن مَسْلمة ومَعَنا أَشْعب ، فذكرنا قَولَ العَرْجىّ :

أَيْنَ ما قُلْتِ مِتُّ قَبْلَكَ أينـــا ... أينَ تَصْديقُ ما عَهدتِ إلينَا
فَلَقَد خِفْتُ منك أن تَصْرِمِى الحَبْـــلَ وأن تَجْمَعى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فَتًى هَام إذ ها ... مَ بمن لا يُنَالُ جَهْلا وحَيْنا
فاجْعَلِى بَيننا وبَيْنَكِ عَـدْلاً ... لا تَحِيفى ولا يَحِيفُ عَلَينـــا
وأُعْلِمى أنّ فى القَضَـــاء شُهُوداً ... و يَميناً فأَحْضِرِى شاهِدَيْنـا
خُلْتِى لو قـدرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لى فى الخَلاء حين التَقَيْنا
ما تَحَرَّجْتُ من دَمِى عَلِم اللـــه ولو كُنْتُ قد شَهِدْتُ حُنَيْنـا

فقال أيّوب[2] لأَشعب : ماتَظُنُّها وَعَدتْه ؟ قال: أُخْبِرُك يَقيناً لاظَنًّا ، وعدتْه أن تَأْتيه فى شِعْبٍ من شِعَابِ العَرْج فى يوم الجُمُعَة ، إذا نَزَل الرِّجَالُ إلى الطائِف للصَّلاة ، فعَرَض عارضُ شُغْل فقطعها عن موعده . قال : فمَن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيِّرٌ وعُوَير ، وكلُّ غَيْرخير[3] : فِنْدٌ أبو زَيْدٍ ، مولى عائشة بنت سَعْدٍ ، وزر الفرق[4] مولى الأَنصار . قال : فمن الحَكَم ؟ قال خُضير :[5] ابن غُرَيرِ الحِمْيرى . قال : فما حَكَم به ؟ قال . أدَّتْ إليه حقه فسَقطَتْ المُؤونَة عنه . قال : يا أشْعَبُ ، لَقَد أَحْكَمْتَ صِنَاعتك ! قال : سَلْ عَلّامَةً عن عِلْمه .

---

(١) فى الأصل : « أبى أيوب » . (٢) فى الأصل : « أبو أيوب » .

(٣) كسير وعوير : جبلان يشرفان على أقصى بحر عمان ، صعبا المسلك وعرا المصعد ، يضرب بهما المثل فيما لا خير عنده . والمثل فى الأمثال : « كسير وعوير وثالث ليس فيه خير . »

(٤) كذا فى الأصل ومعاهد التنصيص (ص ٣٢١ بلاق) . وفى بعض أصول الأغانى : « وزور الفرق » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « حصين » .

هووعاتكة زوجة طريح

وقال العَرْجىّ فى امرأةٍ من بنى حَبِيبٍ :بَطْنٍ من بنى نَصْرِ بن مُعاوية، يُقال لها : عاتكة ، زوجةُ طُرَيح بن إسماعيل الثقفى الشاعر :

يادار عاتِكَةَ التى بالأَزْهَرِ ... أو فوقه بقفَا الكَثيب الأَحْمَرِ
لم أَلْقَ أهلَكِ بعد عامَ لَقِيتهُم ... يالَيتَ أنّ لِقاءهم لم يُقْدَرِ
بفِناء بَيْتِك وابْنُ مِشْعَبَ حاضِرٌ ... فى سامِرٍ[1] عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلاحِفًا[2] هَرَوِيَّةً ... بالزَّعْفَران صِباغُها والعُصْفُرِ
فتلازَما عند الفِراقِ صَبابةً ... أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

الأزهر : على ثلاثة أميالٍ من الطائف . وابن مِشْعَب: مُغَنٍّ من أهل مَكّة .

قصة له مع جارية

وذُكر أنّ العَرْجى وَاعَدَ هَوًى[3] له شِعْباً من شِعَاب عَرْج الطائف إذا نزلَ رِجَالُها يوم الجُمُعَة إلى مَسجد الطائف . فجاءت على أَتَان لها ومعها جارية ، وجاء [العرجىّ] على حمار له ومعه غُلام له . فواقع المرأة ، وواقع الغلامُ الجارية ، ونزا الحمار على الأتان . فقال العرجى : هذا يوم غاب عُذّاله .

يوماه

وقيل : كان العرجىّ يَسْتَقِى على إبِلِه فى شَمْلَتَين[4] ، ثم يغتَسل ويَلْبَس حُلّتين بخَمْسمائة [دينار] ، ثم يقول :

يوماً لِأَصْحَابى ويَوْماً لِلْمَالْ ... مِدْرَعَةٌ يَوْماً ويَوْماً سِرْبَالْ[5]

من كرمه أيضاً

وذُكِر أنّ العَرْجى كان غازياً ، فأصابَت الناسَ مَجَاعةٌ ، فقال للتُّجّار : أَعطوا الناس وعَلَىّ ما تُعْطُون . فلم يَزَلْ يُعْطيهم ويُطْعِم الناسَ حتى أَخْصَبوا . فبلغ ذلك عشرين ألفَ دينارٍ . فألزمها العرجىُّ نَفْسَه . وبلغ الخَبرُ عُمَرَ بن العزيز رضى الله عنه ، فقال: بيتُ المالِ أَحَقُّ بهذا . فقَضَى التُّجّارَ ذلك من بيتِ المال .

---

(١) السامر : مجلس السمار .
(٢) مستشعرين : لابسين . والملاحف : ما يلتحف به . وفى الأصل : « ملاءة » .
(٣) هوى : أى محبوبة .
(٤) المشملة : مئزر يؤتزر به ، من صوف أو وبر .
(٥) المدرعة : ضرب من الثياب . وقيل : جبة مشقوقة المقدم . والسربال : القميص .

هو وأم الأوقص

وذُكر أنّ العَرْجيّ خَرج إلى جَنَبات[1] الطائف مُتَنَزِّهًا ، فمرَّ ببَطْن النَّقيع[2] ، فنظر إلى أُمِّ الأَوْقص ، وهو محمدُ بن عبد الرحمن المَخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رأته رَمَتْ بنفسها وتستَّرَت منه — وهى امرأة من بنى تميم — فبَصُر بها فى نِسوة جالِسةً ، وهن يتحدَّثْن ، فعرفها وأَحَبَّ أنْ يتأمَّلها من قُرْب ، فعَدل عنها ، ولَقِى أَعْرابيًّا من بنى نَصْر على بَكْر له ، ومعه[3] وَطْبَا لَبَن ، فدفع إليه دابَّته وثِيَابَه ، وأَخَذَ قَعُودَه ولَبَنه ، ولَبِس ثِيابَه . ثم أَقْبل فمرَّ على النِّسْوة ، فَصِحْن به : يا أعرابىّ ، أمعك لَبَن ؟ قال : نعم . فمال إليهنّ ، وجَعل يتأمَّلُ أُمَّ الأَوقص ، وتواثَب مَن معها إلى الوَطْبَيْن ، وجَلَس العَرْجِيُّ يَلْحظها و ينظُرُ أحياناً إلى الأرض ، كأنه يطلُب شيئاً ، وهُنّ يَشْربن اللَّبن . فقالت له امرأة منهنّ : أىَّ شىء تَطْلب يا أعرابىّ فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قَلْبى . فلمَّا سمعتْ التَّميميَّة كلامَه نظرت إليه ، وكان أَزْرَقَ ، فعرفته ، فقالت : العَرْجيُّ وربِّ الكعبة ! ووثبتْ ، وسَتَرها نِساؤُها ، وقُلْنَ له : انصرف عنَّا ولا حاجةَ بنا إلى لَبنك . فمضى مُنصرفاً ، وقال فى ذلك :

أَقولُ لصاحِبىَّ ومِثْلُ ما بِى ... شَكَاهُ المرءُ ذو الوَجْد الأَلِيم
إلى الأَخَوَيْنِ مِثلهما إذا مَا ... تَاوَّبه مُؤَرِّقَةُ الهُمُوم
لَحِيْنِى والبَلاءِ لَقِيتُ ظُهْراً ... بأَعْلَى النَّقْعِ أُخْتَ بنى تَمِيم
فلما أن رَأَتْ عَيْنَاىَ منها ... أَسِيلَ الخَدِّ فى خَلْقٍ[4] عَمِيم
وعَيْنَىْ جُؤْذَرٍ خَرِقٍ[5] وثَغْرًا ... كَلَوْنِ الأُقْحوانِ وجِيدَ رِيم
حَنَا أَتْرَابُها دُونى عليها ... حُنُوَّ العَائدات على السَّقِيم

(١) جنبات الطائف : نواحيه ؛ الواحدة : جنبة .
(٢) النقيع : موضع قرب مكة بجنبات الطائف .
(٣) الوطب : سقاء اللبن .
(٤) عميم : تام .
(٥) خرق : دهش مفزع .

فقال رجل من بنى جُمَح لابنهـا الأوقص ، وقضى عليه بقضيَّة فتظلّم منـه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عَمرو العَرْجىّ لـكنتَ أسْرفتَ عَلَىَّ ! فضربه [الأوقص] سَبْعين سَوْطاً .

قوله أبى السائب بشعره

وذكر بَعْضُهم قال :

أتانى أبو السّائب المَخزومىّ لَيْـلَةً بعد ما رَقَدَ السَّامِرُ ، فأشرفْتُ عليـه ، فقال : سَهِرْتُ وذكرْتُ أَخًا لى أسْتَمْتِع به ، فلم أَجِدْ سواك ، فلو مَضَيْنا إلى العَقِيق فتَناشَدْنا وتحدَّثنا ! فمضَيْنا . فأنشدتُه قولَ العَرْجىّ :

باتَا بأَنْعَم ليـــلةٍ حتّى بَدَا صُبْحٌ تَـلَوَّح كالأَغَرِّ الأَشْـقَرِ

فتـلازما عِنْـدَ الفِراق صَـبَابَةً أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

فقال : أَعِدْه علىّ . فأعدتُه . فقال : أحسنَ واللهِ ! امْرأَتُه طَالِقٌ إِنْ نَطَق بِحَرْفٍ غَيْرِه حتى يَرْجِعَ إلى بَيْته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حَسن بن حَسن ، فلمـّا صِرْنا إليه وَقَف بنا ، وهو مُنْصَرِف من ماله يُرِيد المدينةَ ، فسلّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السَّائِب ! فقال له :

فَتَلازَمَا عنـد الفِراقِ صَـبَابةً أَخْذَ الغَرِيم بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة. فقال: إنّا لله ! وأىُّ كَهْل أصيبت منه قُريش ! ثم مضينا فلقينا محمد بنَ عِمْرانَ التَّيمىّ ، قاضى المدينة ، يريد مالاً له على بغلة له ، ومعه غُلام على عُنقه مخلاةٌ فيها قَيدُ البغلة . فسلّم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عنـد الفراق صبابةً أخذَ الغريم بفضل ثوب المُعسرِ

فالتفت إلىّ فقال : متى أَنْـكرتَ صَاحِبك ؟ قلتُ : آنِفاً . فلمّـا أراد المُضِىَّ قُلتُ : أَفتَدَعُه هكذا ؟ واللهِ ما آمَنُ أَنْ يَـتَهَوَّر[1] فى بَعْضِ آبار العَقِيق . قال : صدقتَ ، يا غُلام ، قَيْدَ البغلة . فأخَذَ القَيْدَ فوضَعَه فى رِجْله ، وهو يُنْشِد

(١) يتهور : يسقط .

البَيْتَ و يُشِيرُ بيده إليه ، يُرِى أنّه يَفْهم قِصَّته . ثم نَزل الشَّيْخُ وقال لِغُلامه : يا غُلام ، أَحْمِلْه على بَغْلَتِى وأَلْحِقْه بأَهْله . فلما كان بحَيْثُ عَلِمْتُ أنه قد فاتَه ، أَخْبَرْتُه بخَبَرِه ، فقال : قَبَحَكَ اللهُ مَاجِناً ! فَضَحْت رَجُلاً من قُرَيش وغَرَرْتَنى .

تزوجه لأم عثمان

وقيل : تَزَوَّجَ العَرْجِىُّ أُمَّ عثمان بنتَ بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمّها سُكَيْنة بنت مُصْعب بن الزُّبير بن العَوّام ، فقال فيها :

إنَّ عُثْمانَ والزُّبَيرَ أَحَلَّا ... دارَها باليَفَاعِ[1] إذ وَلَداها
إنّها بِنْتُ كلِّ أَبْيَضَ[2] قَرْمٍ ... نالَ فى المَجْدِ من قُصَىٍّ ذُرَاها
سَكَنَ النَّاسُ بالظَّواهر منها ... وَتَبَوَّى[3] لِنَفْسِه[4] بَطْحَاها

ولما تَزوَّج الرَّشيدُ زَوْجته العُثْمانيَّة أُعْجِبَ بها ، فكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات .

ابن عمر مع امرأة فى الحج نسب بها العرجى

وذَكر عبدُ[5] اللهِ بن عُمر العُمَرِىّ قال :

خَرجْتُ حاجًّا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بكلام أَرْفَثَتْ فيه ، فأَدْنَيْتُ ناقتى منها ثم قلت لها : أيا أَمَةَ الله ، ألستِ حَاجَّةً ؟ أما تخافين الله ؟ فسَفَرَتْ عن [وَجْه] يَبْهَرَ الشَّمْسَ حُسْناً ، ثم قالت : تَأَمَّل ياعَمِّ ، فإنّى ممَّن عَنَاهُ العَرْجيّ بقوله :

أَماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأَدْنتْ على الخَدَّيْنِ بُرْدًا مُهَلْهَلا
من اللَّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... ولكنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِىءَ المُغَفَّلا

قال : فقلتُ لها : فإنى أسْأل الله ألّا يُعَذِّبَ هذا الوَجْهَ بالنَّار .

---

(١) اليفاع : ما أشرف من الأرض والجبل .
(٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .
(٣) وتبوى ، أى وتبوأ ، فسهل .
(٤) الظواهر : خارج مكة . وبطحاء مكة : شعبها الذى بين أخشبيها . وأكرم قريش من نزل البطحاء .
(٥) فى الأصل : « عبيد الله » .

وَبَلَغَ ذلك سعيدَ بن المسيّب رَحمه الله ، فقال : أَمَا والله لو كان من بعض بُغَضاء العِراق لقال لها : أُعزُبى قَبحك الله ! ولكنّه ظَرْفُ عُبّاد أهلِ الحجاز .

هو ومحمد بن هشام

وقيل : كان محمّد بن هِشام بن إسماعيل المخزومىّ ، خالَ هشام بن عبد الملك ، فلمّا ولى هِشَامٌ الخلافة ولّاه [مكة] ، وكتبَ إليه أن يَحُجَّ بالناس . فهجاه العَرْجىّ بأشعار كثيرة ، منها قولُه فيه :

كأنَّ العامَ ليس بعامِ حَجّ ... تغيَّرَت المَواسِمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْداء[1] قد بَعَثُوا رَسُولاً ... لِيُخْبِرَها[2] فَلاَ صُحِبَ الرَّسُول

ومنها قولُه فيه :

ألا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بِمَكَّةَ قاطِناً ... وَمَنْ جاءَ من عَمْقٍ ونَقْبِ[3] المُشَلَّلِ
دَعُوا الحجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكم ... فما حَجُّ هـذا العام بالمُتقبَّل
وكيف يُزَكَّى حَجُّ من لم يَكُنْ له ... إمامٌ لَدَى تَجْمِيره غَيْرُ[4] دُلْدل
يَظَلُّ يُرَائى بالصِّيام نَهارَه ... وَيَلْبَسُ فى الظَّلْماءِ سِمْطَىْ[5] قَرَنْفُل

فلم يزل محمدٌ يطلب عليه العِلَلَ ، حتى وجدها فحَبَسه .

وكان العَرْجىّ شَبَّبَ بأُم محمّد بن هشام هذا ، وهى من بنى الحارث بن كَعْب . فمِمّا قاله فيها قولُه :

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدجِ ... إنّك إنْ لا تَفْعَلِى تَحْرَجِى
إنّى أُتيحَتْ لى يَمانِيَةٌ ... إحْدَى بنى الحارث مِنْ مَذْحِجِ
نَلبَثُ حَوْلاً كامِلاً كُلَّه ... ما نَلْتَقِى إلّا على مَنْهَجِ

---

(١) هى جيداء بنت عفيف ، أم محمد بن هشام المخزومى .

(٢) فى الأصل : « ليحزنها » .

(٣) عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق فى الجبل .

(٤) التجمير : رمى الجمار . والدلدل : شبه القنفذ ، وأكثر ما يظهر بالليل . شبهه به لمواربته وتخفيه فيما يأتى .

(٥) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز ، وإلا فهو سلك .

فى الحَجِّ إنْ حَجَّتْ وماذا مِنًى وأَهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُج
أَيْسَرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى بَيْنِ حَبيبٍ قَوْلُه عَـرِّج
نَقْضِ إلَيْكُمْ حاجَةً أو نَقُلْ هل لِىَ مِمَّا بِىَ مِنْ مَخْرَج

بين ابن سريج وعطاء وقد غناه بشعر للعرجى

قيل : لقى ابنُ سُرَيج عَطاءً رحمه الله ، وهو راكبٌ على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلّا وَقَفْتَ حتى أُسْمِعك شيئاً . فقال : ويْحَك ! دَعْنى فإنِّى عَجِلٌ . فقال : امْرَأَتُه طَالِقٌ لئن لم تَقِفْ مُختاراً للوُقوف لأُمْسِكَنّ لِجَام بغْلتك ، ثم لا أُفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدى حتى أُغنِّيكَ وَأَرْفَعَ صوتى لا أُسِرُّه . فقال : هاتِ وعَجِّل . فغنّاه :

فى الحَجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى وأَهْلُه إنْ هِىَ لَمْ تَحْجُج

فقال عطاء : الخَيْرُ كلُّه بِمِنًى ، لاسيّما وقد غَيَّبها اللهُ عَزَّ وجلّ عن مَشاعِره . خَلِّ سَبِيلَ البَغْلَة .

من تشبيبه أيضاً بجبرة زوجة ابن هام

وقال العَرْجى يُشَبِّب أيضاً بزوجة محمد بن هِشام المخزومية، واسمها جَبْرة :

عُوجِى عَلَىَّ فسلِّى جَبْرُ فِيمَ الوُقُوفُ وأَنْتم سَفْرُ
ما نَلْتَقِى إلّا ثلاثَ مِنًى حتى يُفَرِّقَ بَيْنَا النفرْ
الحَوْلُ بعد الحَوْلِ يَتْبَعُه ما الدَّهْرُ إلّا الحَوْلُ والشَّهر

ابن هشام وأمه

وذُكر أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمِّه جَيْداء : أنت غَضَضْتِ مِنِّى بأَنّك أُمِّى وأَهْلَكْتِنى وقتلتِنى ! فتقول له : ويْحَكَ ! وكَيْفَ ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّى من قُريش ما وَلِىَ الخِلافَةَ غَيْرى .

موجدة ابن هشام على العرجى

ولم يَزل محمدُ بن هشام مُضْطغناً على العَرْجِىّ من هذه الأَشعار التى يقُولها فيه ، مُتطلِّباً سَبِيلاً عليه ، حتى وجده فيه ، فأَخذه فقيَّده وضَربه وأَقامه للناس ،

ثم حبَسَه ، وأقسم ألّا يَخْرُج من الحَبْس ما دام له سُلطان . فمكث فى حَبْسِه نَحْوًا من تسْعِ سِنين ، حتى مات فيه .

وكان السَّبب الذى وجَدَه مُحمدٌ — على ما ذُكر — أنّ العَرْجى[1] لَاحَى مولًى كان لأبيه. فأَمضَّه[2] العَرْجىّ، فأجابه المَولى بِمِثْل ما قاله له . فأَمْهَلَه ، حتى إذا كان اللَّيْـلُ أتاه مع جماعة من مَواليـه وعَبيده ، فهَجَم عليه فى مَنزله وأَخذه وأَوْثقـه كِتافًا[3] ، ثم أَمرَ عَبيده أن يَنْـكِحُوا امرَأَته بين يديه ، ففعَلُوا ، ثم قَتَلَه وأحرقه بالنَّار . فاستعَدَتْ امرأتُه على العَرْجىّ محمدَ بن هِشَام ، فحَبسه .

وقيل : بل كان العَرْجى وكَّلَ بحُرَمه مولًى له يقوم مَقامه بأُمُورِهنّ . فبلغه أنّه يُخالف إليهنّ . فلم يزل يَرْصُده حتى وجده يُحَدِّث بعضَهنّ ، فقَتـله وأحرقه بالنَّار . فاستعدتْ امرأتُه عليه محمدَ بن هشام ، فحَبسه .

وذُكر أنّ العرجىّ لمّا شَتم مولاه هذا ، كان أَشْعَبُ حاضراً ، وأنّ العَرْجى أَطال شَتْمَ مولاه ، فلمـا أَكْثَر ، ردَّ المولى عليه ، فاختلط[4] العَرْجىّ من ذلك ، وقال لأشعب : أُشْهد على ما سمعتَ . قال أشعب : وعَلامَ أشْهَدُ ! قد شَتَمْتَه أَلْفاً وشَتَمَكَ واحدة . والله لو أن أُمَّك أُمُّ الكتاب وأُمَّه حَمَّالة الحَطَب مازاد على هذا!

وقيل : لمّـا أَخذ محمدُ بن هشام العَرْجىَّ ، وأَخذ معـه الحُصَين بن غُرَير الحِمْيرىّ ، فجلدهما وصَبّ على رُءوسهما الزَّيتَ ، وأَقامهما فى الشمس بمكة . فجعل العَرْجى يُنشد :

---

(١) لاحى : خاصم وشاتم .

(١) أمضه : أوجعه وآلمه .

(٣) الكتاف : الوثاق ، وهو الحبل يوثق به .

(٤) اختلط : أى غضب غضباً شديداً حتى كأنه فسد عقله .

سَيَنْصُرُنِى الخَلِيفَةُ بعـــد ربِّى ويَغضَب حين يُخْبَر عن مَسـاقِى
علىّ عَبَـــاءةٌ بَلْقَاء[١] ليستْ مع البَـلْوى تُغَيِّب نِصْف سَـاقِى
وتَغْضَب لى بأَجمعهـــا قُصَىٌّ قَطِينُ البَيْت والدُّمْثِ[٢] الرِّقَاق

ثم يَصيحُ : ياغُرير ، أجياد[٣] ! يا غُرير ، أَجْياد ! فيقول له الحِمْيَرىّ المَجْلود معه : ألا تَدَعنا ! ألا تَرى ما نحن فيه من البَلاء ؟

يعنى بقوله « يا غرير » الحُصينَ بن غُرير ، المَجلود معه . وكان صديقاً للعَرْجىّ وخليطًا . و بقوله « أجياد » بنى مَخْزوم ، لأن أَجياد مسكنُهم . يُعَيِّرهم بأنهم لَيْسُوا من أهل الأبطح .

ومن هذه الأَبيات :

وكَمْ من كَاعِبٍ حَوْراءَ بِكْرٍ أَلُوفِ السِّتْرِ واضحةِ[٤] التَّرَاقِى
بَكَتْ جَزَعًا وقد سُمِرَتْ كُبُولى وجَامِعَةٌ[٥] يُشَدّ بهـا خِنَـاقِى

وذُكر أنه أُجتمع النّاسُ للنَّظر إليه و إلى ابن غُرير ، وقد جُلِدَا وحُلِقَا وصُبَّ الزَّيتُ على رءوسهما وأُلْبِسَا عَبَاءتَيْن . فَمَرَّ بهما رَجُلٌ كان صَدِيقاً للعَرْجىّ ، وكان فَأْفَاءً ، فوَقَف عليه، فأَرَاد أن يَتوَجَّع لمـا ناله و يدعُو له ، فلَجْلج ، لما كان فى لسانه ، كما يفعل الفأفاء . فقال له العَرْجىّ : لا خَرجتْ من فيك أَبداً ! فقال له الرجل : فمكانَك إذًا لا بَرِحْتَ فيه أبَدًا .

ومَرّ به صِبْيانٌ يَنْقُطُون النّوى ، فوَقَفُوا يَنْظُرُون إليـه ، فالتَفَت ابن غُرَير

(١) بلقاء : سوداء بيضاء .
(٢) الدمث : الأراضى السهلة اللينة ؛ الواحدة : دمثاء .
(٣) أجياد : موضع بمكة مما يلى الصفا .
(٤) التراق : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .
(٥) سمرت : شدت . والكبول : القيود ؛ الواحد : كبل . والجامعة : الغل .

وقال : ما أَعْرِفُ فى الدُّنيا شَيْخين أَشْأَم منِّى ومِنْك ! إنّ هؤلاء الصِّبيان لأَهلِهم عليهم فى كلِّ يَوم ، على كلِّ واحدٍ منهم مُدُّ نَوًى ، فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ووَقَفُوا يَنْظُرون إلىّ وإليك ، ويَنْصرفون بغير شىء ، فيُضربون ، فيكونُ شُؤْمنا قد لَحِقَهم .

للعرجى فى حبسه

وقال [العرجى فى حَبْسه] :

أَضاعُونى وأَىَّ فَتًى أضـــاعُوا ... لِيَوْمٍ كَرِيهةٍ[1] وسِـدَادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عنـد مُعْتَرَكِ المَنـــايا ... وقد سُرِعَتْ أَسِنَّتُها بنَحْرِى
أُجَرَّرُ فى الجوامع كُلَّ يَوْمٍ ... فيـاللهِ مَظْلِمَتِى[2] وصَـبْرِى
كأنِّى لم أَكُنْ فيهم[3] وَسِـيطًا ... ولم تَكُ نِسْبَتِى فى آل عَمْرِو

أبو حنيفة وجار له كان يتغنى فى سكره بشعر للعرجى

وذُكر أنّه كان لأبى حَنيفة جارٌ بالكوفة يُغَنِّى ، فإذا انصرف وقد سَكِر تَغَنَّى فى غُرفته ، فيسمعه أبو حنيفة فيُعجبه ، وكان يُكْثر أن يُغنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ... ليوم كريهة وسِـدَادِ ثَغْرِ

فلقيه العَسَسُ ليـلةً وأَخَذُوه وحُبِس ، ففَقَد أبو حنيفة صَوْتَه ، وسأل عنـه من غَدٍ ، فأُخْبِر . فدعا بسَواده وطَويلته[4] فلبسهما ورَكب إلى عيسى بن مُوسى ، فقال : إنّ لى جاراً أَخذه العَسس البارحةَ وحُبس ، وما علمتُ منـه إلّا خَيْرًا . فقال عيسى : سَلِّمُوا إلى أبى حَنيفة كُلَّ من أَخَذَه العَسس البارحة. فأُطْلِقُوا جميعاً. فلما خَرج الفتى ، دعا به أبو حنيفة رحمه الله ، ثم قال له سرًّا :ألستَ كُنْتَ تُغَنِّى:

* أضاعُونى وأىّ فَتًى أضـاعُوا *

---

(١) سداد الثغر : ما يسد به من رجال وعدة .
(٢) الجوامع : جمع جامعة ، وهى الغل . والمظلمة : الظلم .
(٣) وسيطاً : أى أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً .
(٤) السواد : شعار لبنى العباس ، وكان أشياعهم يرتدونه . والطويلة : قلنسوة عالية .

فهل أضعناك ؟ فقال : لا والله أيها القاضى ، ولـكن أَحْسَنْت وتَكَرّمت ، أَحْسن الله جزاءَك . قال : فَعُـدْ إلى ما كُنْتَ تُغَنِّيه ، فإنى كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأْساً . قال : أَفْعلَ .

المنصور وعمه عبدالله حين تمثل بشعر العرجى فى حبسه

وقيل : لمّـا حَبَسَ المَنْصُورُ عبدَ الله بن علىّ عَمَّه ، كان كَثيرَ[1] التمثُّل بقول العَرْجىّ :

أضاعُونى وأىّ فَتًى أضَاعُوا ليومِ كَرِيهةٍ وسِـدَادِ ثغْرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فِعْله ، فكانت أُنْفُسُنا آثرَ عندنا من نفسه .

المؤلف فى مقتل عبدالله عم المنصور

— قلت : كان عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس هذا خَرج على ابن أخيه المنصور ، واستولى على الشَّام ، ودعا إلى نفْسه بالخلافة . فسَيَّر إليه المنصورُ الجنودَ مع أبى مُسلم صاحب الدَّعوة ، فهزَمَهُ وَفلَّ جُيُوشه ، فهرب عبدُ الله إلى البصرة واستترَ بها ، حتى أُخِذَ له الأَمان من المَنصور ، وحَلَف له بأَغلظ الأَيمان أنّه لا يَهِيجُه . فجاء إليه ، فحَبسه فى بيت وجعـل أَسَاسَه مِلْحاً ، ثم صَبَّ عليه الماءَ حتى ذابَ المِلْحُ ، فتداعى البيتُ وسَقَط على عبد الله فقَتَله —

الأصمعى وكناس يغنى ببيت للعرجى

وذَكرَ الأَصمعىُّ قال : مررت بكنَّاس بالبصرة يكنُس كَنِيفاً وهو يغَنِّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليومِ كريهةٍ وسِـداد ثغْرِ

فقلتُ له : أمّا سِداد الـكنِيف فأنت مَلِىء به[2] ، وأما الثغرُ فلا عِلْم لنا بك ، كيف أنت فيـه ؟ وكنتُ حديثَ السِّنّ وأردتُ العَبَثَ به . فأَعْرض عنِّى مَلِيًّا ، ثم أَقْبل فأَنْشَد مُتمثِّلاً :

وأُكرم نَفْسى إنّنى إنْ أهنتُها وحَقِّك لم تَـكْرُم عَلَى أَحَدٍ بَعْدِى

فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوان شىء أكثرُ ممـا بذلتَها له ! فبأىّ شىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يكثر » . (٢) ملىء به : مضطلع به .

أكرمتَها ؟ قال : بلى والله ! إنّ من الهوان لشرًّا ممّا أنا فيه . فقلتُ : وما هو ؟ فقال : الحاجةُ إليك و إلى أمثالك من النّاس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس .

تنكيل الوليد بمحمد ابن هشام وأخيه وخالد القسرى

وذُكِرَ أنّ الوَليد بن يَزيد بن عبد الملك كان مُضْطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تَبْلُغه عنه فى حياة هشام ، فلمّا ولى الخلافةَ قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشْخِصَا إليه إلى الشَّأم ، ثم دَعَا بالسِّياط . فقال له محمد : أَسْأَلُك بالقَرَابة . فقال : وأَىُّ قَرَابةٍ بينى و بينك ؟ وهَلْ أنت إلّا من أَشْجَعَ ! قال : فأَسْأَلك بِصِهْرِ عَبْد الملك . قال : لم تَحْفَظْه .فقال له : يا أَميرَ المؤمنين، قد نَهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُضْرَب قُرَشىّ بالسِّياط إلّا فى حَدٍّ .قال : ففى حَدٍّ أَضْرِبُك وقَوَد ، أنت أوّل من سَنَّ ذلك على العَرْجىّ ، وهو ابن عَمِّى وابن أَمير المُؤمنين عُثمان ، فما رَعَيْتَ حَقَّ جَدِّه ولا نَسَبه بهشام ، ولا ذَكَرْتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا وَلِىُّ ثَأْره، اُضْرِبْ يا غُلَام . فضَرَبهما ضَرْباً شَديداً مُبَرِّحاً ، وأَثْقَلَا بالحَديد . ووَجَّه بهما إلى يُوسُفَ بنِ عُمر بالكُوفة ، وأَمره[1] باسْتِصْفائهما وتَعْذِيبهما حتى يَتْلَفا . وكَتب إليه : أَحْبِسْهما مع ابن النَّصْرانيّة — يَعْنِى خالدَ ابن عَبْد الله القَسْرىّ — ونَفْسَك نَفْسك إنْ عاشَ أَحَدٌ منهم . فعذَّبهم عَذاباً شَديداً ، وأَخَذ منهم مالا عَظِيما ، حتَّى لم يَبْقَ فيهم موضعٌ للضَّرْب .

فكان مُحمّد بنُ هِشام مَطْرُوحاً ، فإذا أَرادُوا أن يُقِيموه أَخَذوا بلِحيته فجَذَبُوه بها . ولمّا اشْتدَّت عليهم الحالُ ، تحامل إبراهيمُ لِينظُر فى وَجْه أخيه محمّد ، فوَقَع عليه ، فماتَا جميعاً . ومات خالدٌ القَسْرِىّ معهما فى يومٍ واحد .

شعر الوليد بن يزيد فى ذلك

وقال الوليدُ بن يَزِيد لما حَمَلهما إلى يُوسُفَ بن عُمر :

---

(١) استصفائهما، أى أخذ أموالهما .

قَدْ رَاحَ نَحْوَ العِرَاقِ مَخْشَلَبـهْ قُصَارُه السِّجنُ بعده[1] الخَشَبَه
يَرْكَبُها صـاغِراً بلا قَتَبٍ ولا خِطَامٍ وحَوْلَهُ جَلَبـه
فَقُـل لدَعْجَاءَ إن مررتَ بهـا لَنْ يُعْجِزَ اللهَ هارِبٌ طَلَبـه
قد جَعل الله بعـد غَلْبَتِكم لنَا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبـه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَـدٍ ولا إلى نَوْفَلٍ ولا[2] الحَجَبـه
لـكنّما أَشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الـ ـكَلْبِيَّ[3] لا ما يُزَوِّق الكَذَبه

بين إسحاق الموصلى والرشيد فى بيت للعرجى

وقال إسْحاقُ بن إبراهيم المَوْصلىّ :

غَنَّيْتُ الرَّشِيدَ يوماً فى عُرْضِ الغِناء :

أَضَاعُونى وأىَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهةٍ وسِـدَاد ثَغْرِ

فقال لى :ما كان سببُ هذا الشِّعر حتى قاله العَرْجىّ ؟ فأخبرتُه بخبره من أوّله إلى أن مات . فرأيتُه يتغيَّظ كُلَّمَا مرَّ منـه شىء . فأَتْبَعْتُه بحديث مَقْتل ابْنَىْ هِشام .فجعل وجهُه يُسْفِر وغَيْظُه يَسْكُن . فلما انقضى الحديثُ قال لى : يإسحاقُ ، واللهِ لولا ما حَدَّثْتنى به من فِعْل الوَلِيد ، لما تركتُ أَحَداً من أَماثِلِ بنى مَخْزوم إلّاقتلتُه بالعَرْجىّ .

شعر العرجى الذى فيه الغناء

والشِّعْر الذى فيه الغناء من قَوْلِ العَرْجىّ هو قولُه :

إلى جَيْدَاءَ قد بَعَثُوا رسولاً لِيَحْزُنَها فلا صُحِب الرَّسُولُ
كأنّ العامَ ليس بعـامِ حَجٍّ تَغَيَّرتِ المَواسِمُ[4] والشُّكُول

(١) المخشلبة ، والمشخلبة ، كلمتان عراقيتان ، بمعنى ، يطلقان على شىء يتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . وقد تسمى الجارية مخشلبة أو مشخلبة ، لما يرى عليها من الخرز كالحلى . والخشبة ، يريد خشبة الصلب .

(٢) الحجبة : يريد حجبة الكعبة ، وكانت الحجابة فى بنى قصى . وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجابة البيت فى يد شيبة بن عثمان بن طلحة بن عبد الله بن قصى فأبقاها .

(٣) الكلبى : محمد بن السائب ، النسابة المعروف .

(٤) الشكول : جمع شكل .

أخبار المجنون

اسمه

مِنَ النّاس من أثبت وُجودَه، ومِن النّاس مَن لم يُثْبِت. فأمَّا المُثْبِتون فمنهم من قال: اسْمُه مَهْدِيّ، ومنهم من قال: اسمه بن قَيْس، وهم الأكْثرون.

وهو ابن المُلوَّح بن مُزَاحِم بن قَيْس بن عَدِيّ بن رَبيعة[1] بن جَعْدة بن كَعْب ابن رَبيعة بن عامِر بن صَعْصَة.

وقيل: هو قَيس بن مُعاذ، أحَدُ بنى نُمَيْر بن عامر بن عُقَيل. وقيل: أحد بنى جَعْدة بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة.

قالوا: ومما يَدُلُّ على أنّ اسْمَه «قَيْس» قولُ لَيْلى صاحِبته:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى والخُطوبُ كَثِيرةٌ ... مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاجِعُ

وقال الأَصمعِىّ، وقد سُئِل عنه: لم يكن مَجْنوناً. ولكن كانت به لُوثة[2] كلُوثة أبى حَيَّة[3] النُّمَيْرِىّ.

قول من أنكره

ورَوَى المُنْكِرون أخباراً تَدُلّ على أنّه لم تكُن له حَقِيقة، من ذلك ما رَوَى ابْنُ دَأْب[4] قال: قلتُ لرجل من بَنى عامر: أتَعْرِف المَجْنون وتَرْوِى شِعْره؟ قال: أوَقَدْ فَرَغْنا من شِعْر العُقلاء حتى نَرْوِى أشْعار المَجانين! إنّهم لكَثِير. قُلْتُ: ليس هَؤلاء أعْنِى، إنّما أعْنى مَجْنون بنى عامر الذى قَتَله العِشْق. فقال:

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جبلة».

(٢) اللوثة، بالضم وتفتح: الحمق. وقيل: اللوثة، بالضم: الحبسة فى اللسان؛ وبالفتح: الحماقة.

(٣) ستأتى ترجمته فى التجريد.

(٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان عالماً وشاعراً.

هيهات ! إنّ بنى عامِر أَغْلَظُ أَكْبادًا من ذلك ! إنما يكون هذا فى هذه اليمانيةِ الضِّعاف قُلوبُها ، السَّخِيفة عقولها ، الصَّعْلة[1] رُءوسها ، فأَمَّا نِزَار فلا .

ورُوِى عن الأَصمعىّ أنه كان يقول :

رجلان ما عُرِفا فى الدُّنْيا قَطُّ إلّا بالاسْم : مَجْنون بنى عامر ، وابن القِرِّيّة[2] ، فإنّهما وَضَعهما الرُّوَاةُ .

ورُوِىَ عن ابن الكَلْبىّ أنّه قال : حُدِّثْتُ أنّ حَديثَ المَجنون وشِعْره وَضَعه فَتًى من بنى أُمَيَّة كان يَهْوَى ابْنة عَمٍّ له ، وكان يَكْره أن يُظْهِرَ ما بينه وبينها ، فَوَضع حديثَ المَجْنون ، وقال الأَشعار التى يَرْويها النـاس للمجنون ونَسبها إليه .

قول المثبتين له

وروى مَن أَثْبَتَه : أنّ أباه المُلوَّح مات قَبـل اخْتلاطه[3] ، فَعَقر على قَبْره ناقَته ، وقال :

عَقَرْتُ على قـــبر المُلوَّح نَاقتِي ... بذِى السَّرْحِ[4] لمّا أَنْجَفاه الأَقاربُ

وقلتُ لهـا كُونِى عَقِـيراً[5] فإنّنى ... غَداً راجلٌ أَمْشِى وبالأَمْس راكِب

فلا يُبْعِـدَنْكَ اللهُ يابْنَ مُزاحِمٍ ... فكُلٌّ بكَأْسِ المَوْت لا بُدَّ شَـارِب

ليلى صاحبته

وذُكر أنّ لَيْلى صاحبَته ، بنتُ مَهْدِىّ بن[6] سَعْد بن مَهْدِىّ بن ربيعةَ ابن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصعة . وفيها يقولُ المَجنون :

---

(١) الصعلة : الصغيرة .

(٢) هو أيوب بن زيد بن قيس . والقرية : أمه . كان لسناً خطيباً . وقتله الحجاج لا تهامه بالميل إلى ابن الأشعث . (وفيات الأعيان) .

(٣) اختلاطه ، أى فساد عقله وتغيره .

(٤) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٥) العقير : المعقورة ، أى المنحورة . وكانوا ينحرون الإبل على قبور الموتى .

(٦) فى بعض أصول الأغانى : « بنت سعد بن مهدى » .

أَخَذَتْ محاسِنَ كُلِّ ما ضَنَّتْ محاسنُه بحُسْنِهْ
كاد الغزالُ يكونُها لولا الشَّوَى[1] ونُشُوزُ قَرْنِه

الأصمعى وأعرابى من بنى عامر عمن رموا فيهم بالجنون

ورُوِىَ عن الأَصْمَعِىّ أنه قال :

سألتُ أَعْرابيًّا من بنى عامر بن صَعْصعة عن المَجنون العامرىّ ، فقال : عن أَيّهم تَسْأَلُنى ؟ فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجُنون ، فعَن أيّهم تَسأل ؟ فقلتُ : عَن الذى كان يُشبِّبُ بلَيْلى . فقال : كُلُّهم كان يُشَبِّب بلَيْلى . قلت : فأَنْشدنى لبعضهم . فأَنْشدنى لمُزاحم بن الحارث المَجْنون :

أَلَا أيُّها القَلْبُ الذى لَجّ هائماً بلَيْلَى وَلِيداً لم تُقَطَّع[2] تمائمُه
أَفِقْ قد أَفاق العاشِقُون وقد[3] أَنَى لكَ اليومَ أنْ تَلْقى طَبِيباً تُلائِمُه

قلت : فأَنْشِدنى لغيره . فأَنْشَدنى لمُعاذ بن كُلَيب المَجْنون :

أَلَا طالَما لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَنى إلَى اللَّهْوِ قَلْبٌ لِلْحِسَانِ تَبُوعُ
وطالَ امْتِراءُ[4] الشَّوْقِ عَيْنِىَ كُلَّما نَزَفْتُ دُمُوعًا تَسْتَجِدُّ دُمُوع
وقد طال إمْساكِى على الكَبِدِ[5] الّتى بها مِنْ هَوَى لَيْلَى الغَداةَ صُدُوع

قلت : فأَنْشِدنى لغير هذَيْن ممّن ذكرتَ . فأَنْشدَ لمَهْدِىّ بن المُلَوَّح :

لو أنّ لك الدُّنيا وما عُدِلتْ به سِوَاها ولَيْلَى بأنٌ[6] عنك بَيْنُها
لكُنْتَ إلى لَيْلَى فَقِيراً وإنما يَقُودُ إليها وُدَّ نَفْسِك حَيْنُها

---

(١) الشوى : الأطراف .
(٢) التمائم : جمع تميمة، أو هى عوذة تعلق على المولود . ولم تقطع تمائمه، أى لا يزال صغيراً.
(٣) أنى : حان وقرب .
(٤) الامتراء : الاستدرار .
(٥) الكبد، تؤنث وتذكر .
(٦) بينها، أى وصلها . وهو من أسماء الأضداد، يطلق على الوصل والفراق .

فقلت : أَنْشدنى لمن بَقِي من هؤلاء . فقال : حَسْبك ! فوالله إنّ فى واحد مِن هؤلاء لَمَن يُوزَن بعُقلائكم اليومَ !

مزاحم والمجنون فى هوى ليلى

وذُكر أنّ مُعاذ بن كُلَيب كان مَجْنوناً ، وكان يُحِبُّ لَيْلَى ، فشَركه فى حُبِّها مُزاحم بن الحارث العُقَيْلِيّ ، فقال مُزاحم يوماً للمَجْنون :

كلانا يا مُعــاذُ يُحِبُّ لَيْلَى ... بقىّ وفيكَ مِن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكْتُك فى هَوَى من كان حَظِّى ... وحَظَّك منْ مَودَّتها العَــذَاب
لقــد خَبَلَت فُؤادَك ثمّ ثَنَّتْ ... بقَلْبى فهو مَخْبُولٌ مُصَــاب

فيُقال : إنّه لمّا سَمِع هذه الأَبْياتَ التَبِس وخُولِط فى عَقْله .

ابن موسى والعدوى فى بيتين لجميل

ورَوَى هارون بن مُوسى ، قال :

سَأَلتُ أبا بَكْرٍ العدوىّ [1] عن هذين البَيْتين :

وخَبِّرْتُمانى أن تَيْماءَ [2] منزِلٌ ... لِلَيْلَى إذا ما الصَّيْفُ أَلْقَى المَراسِيَا
فهذِى شُهورُ الصَّيْف عَنَّا قد انقضتْ ... فما للنَّوَى تَرْمِى بلَيْلَى المَرَامِيَــا

فقال : هُما لِجميــل . ولم يَعْرف المَجْنونَ . قلتُ : وهل معهما غَيْرها ؟ قال : نَعم ، وأَنْشدنى :

وإنِّى لأَخْشى أَنْ أَمُوتَ فُجــاءَةً ... وفى النَّفْس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَــا
وإنِّى لَيُنْسِينى لِقَــاؤُكِ كلّما ... لَقِيتُك يَوْماً أَنْ أُبَثَّكِ ما بِيَــا
وقالُوا به داءٌ عَيَــاءٌ أَصَابه ... وقد عَلِمتْ نفسى مكانَ دَوَائِيا

سبب عشقه ليلى

وذكر الرُّواة المُثْبِتُون أخبارَ المَجْنون ، أنّه كان يَهوى لَيْلَى بنت مَهْدىّ ، التى تقدَّم ذِكْر نَسبها ، وتُكْنَى أُمَّ مالك ، وهُما حينئذ صَبِيَّان ، فَعَلِق كلُّ واحدٍ

(١) فى الأصل : « العذرى » . (٢) تيماء : بلد صغير فى أطراف الشام .

منهما صاحبه، وهما يرْعيان مواشِيَ أهْلهما ، فلم يزَالا كذلك حتى كَبِرا ، فَحُجبَتْ عنه ، فقال فى ذلك :

تَعلَّقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ (١) ذُؤَابةٍ ولم يَبْدُ للأَتْراب مِن ثَدْيِها حَجْمُ
صغيرَيْن نَرْعى البَهْمَ يا ليتَ أنَّنا إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تَكْبَر البَهْمُ

اختلاط ابن مليكة فى آذانه عند سماعه من يتغنى بشعر المجنون

وذُكر أنّ ابْن مُليكة كان يؤذِّن ، إذ سَمِع الأَخْضَر الجِدِّىَّ يُغَنِّي من دار العاصِ بن وائلٍ فى هذين البَيْتين ، فلمّا أراد أن يقول : « حىّ على الصلاة » قال : « حَىٍّ على البَهْم » حتى سَمِعه أهلُ مكّة ، فغدا يَعْتذر إليهم .

عود الى تعلق المجنون بليلى

وذُكر أنّ سَبب تَعلُّقه بليلى أنّه كان صاحبَ غَزَل ومُجالسة للنّساء، فَخَرَج على ناقةٍ له يَسيرُ، فمَرَّ بامرأة من بَنى عُقَيْل يقال لها: كَريمة، وكانت جَميلةً عاقلةً، معها نِسْوةٌ ، فعرَفْنه فدَعَونه إلى النُّزُول والحَديث ، وعليه حُلَّتان له فاخرتان وطَيْلَسان وقَلَنْسوة . فنَزل فظَلَّ يُحدِّثهن ويُنْشِدهنَّ ، وهُن أَعْجَبُ شىء به فيما يَرَى ، فلما أعجبه ذلك منهنّ عَقَر لهن ناقَته ، وقُمْن إليها وجعلن يَشْوِين ويأكُلْن من لَحْمِها إلى أن أَمْسَين ، فأَقْبَلَ غُلامٌ شَابٌّ حَسَنُ الوجه ، فجلس إليهنَّ ، فأقْبَلْن عليه بوجُوههنَّ يَقُلْنَ له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعْلهنَّ غَضِبَ وقام ، فتركهنّ وهو يقول :

أأَعْقِرُ من جَرَّا (٢) كَرِيمَةَ ناقَتِي ووَصْلِيَ مفْرُوشٌ (٣) لوصل مُنازِلِ
إذا جاء قَعْقَعْن الحُلِيّ ولم أَكُن إذا جِئْتُ أرجو صوتَ تلك الخَلاخِل

قال : فقال له الفتى : هلم نَتصارعْ أو نَتَفاضَلْ . فقال له : إنْ شِئْتَ ذلك فقُم إلى حَيْثُ لا تراهُنَّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شِئت فافعلْ . وقال :

(١) الذؤابة : شعر الناحية .
(٢) من جرا ، من أجل .
(٣) مفروش : ممهد .

إذا ما انْتَضَلْنا فى الخَلاءِ[1] نَضَلْتُه وإنْ يَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِي

فلما أَصْبحَ لَبِسَ حُلَّته ورَكِب ناقَته ومضى متعرِّضاً لهن ، فأَلْفى ليلى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهن يومئذٍ ، وقد عَلِق بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيريات يُحدِّثنها ، فوقف عليهنّ وسلَّم ، فدعَوْنه إلى النُّزول وقلْنَ له : هل لك فى محادثة مَن لا يَشْغله عنك مُنازِلٌ ولا غَيْرُه ؟ قال : إى لَعَمْرى ! وفَعل فَعْلَته بالأمس . فأرادتْ أنْ تَعلم هل لها عنده مِثْلُ ما له عندها ، فجَعَلَتْ تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّث غيرَه ، وقد كان عَلِق حُبُّها بقَلبه وشَغَفه واسْتملحها ، فبينما هى تُحدِّثه إذ أقْبَل فَتًى من الحىِّ ، فدعتْه فسارَّتْه سِرَاراً طويلا ، ثم قالت له : انصرف . فانصرف . ونظرتْ إلى وجه المَجنون قد تغيَّر وامْتُقِع[2] وشَقَّ عليه ما فعلتْ ، فأَنْشأَتْ تقول :

كِلانَا مُظْهِرٌ للنّاس بُغْضًا وكُلٌّ عند صاحِبه مَكِينُ
تُبَلِّغنا العُيونُ مقالَتَيْنا وفى القَلْبين ثَمَّ هوًى دَفِين

فلمّا سَمِع هذين البيتين شَهِق شَهقَةً عَظِيمة وأُغْمِيَ عليه ، فمَكَث كذلك ساعةً ، ونَضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق . وتمكّن حُبُّ كلِّ واحدٍ منهما فى قلبِ صاحِبه . وبلغ منه كلَّ مَبْلَغ .

خطبته ليلى واختيارها غيره

وقيل : لمّا شُهِرَ أَمْرُ المَجْنون وليْلى ، وتَناشد النّاسُ الشعر الذى عَمِلَه فيها ، خَطبها وبَذل لها خَمْسين ناقةً حَمْراء ، وخَطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلىّ ، وبَذل لها عَشْرًا من الإبل وراعِيَها . فقال أَهْلوها : نحن نُخَيِّرُوها بينكما ، فَمن اخْتارت تزوّجته . فدَخلوا إليها وقالوا : لئن لم تَختارى وَرْدًا لَنُمَثِّلَنَّ بك . فقال المجنون :

ألا يا لَيْلَ إنْ مُلِّكْتِ فِينَا خِيارَكِ فانظُرِى أين[3] الخِيارُ

(١) انتضلنا : ترامينا . ونضلته : غلبته.
(٢) امتقع : تغير لونه . (٣) فى بعض أصول الأغانى : «لمن» .

ولا تَسْـــتبدلى منِّي دَنِيًّـا ولا بَرِمًا إذا حُبَّ[1] القُتَـار
يُهَرْوِلُ فى الصَّغير إذا رآه وتُعْجِزه المُلِمَّات الكِبَار
فَمِثْـلُ تَأَيُّمٍ منـــه نِكَاحٌ ومِثْـلُ تَمَوُّلٍ منـــه آفتقار

فاختارت «ورداً» فتزوَّجته على كُرْهٍ منها .

سبب اختلاط عقله

وذُكر أنّ سَبب اُختلاط عَقْله أنّ لَيْلَى أنشدتْه فى خَلْوة :

كلانا مُظْهِرٌ للنّـــاس بُغْضًـا وكُلٌّ عنـــد صاحِبِه مَكِينُ
وأَسْرار المَلاحظ[2] لَيْس تَخْفَى وقد تُغْرِى بذى اللَّحظ[3] العُيون

فخَرّ مُغْشِيًّا عليه ، ثم أَفاق فاقِدًا عقْلَه ، فكان لا يلْبَسُ ثوْبًا إلّا خَرقه ، ولا يَمْشى إلّا عارياً ، ويَلْعب بالتُّراب ، ويَجْمَعُ العِظام حَوْلَه . فإذا ذُكِرتْ لَيْلَى أَنْشأَ يقُول ويُحدِّث عنهـا عاقِلاً لا يُخْطِىء حَرْفًا . وترَكَ الصَّـلاةَ ، فإذا قيـل له : مالَك لا تُصَلِّى ؟ لم يَرُدَّ حَرْفًا . وكان أَبُوه يَحبسُه ويُقَيِّده ، فيَعَضُّ شَفَتَيْه ولِسانَه ، فيُخَلّى سَبِيلَه فيَهِيمُ .

سؤاله عمر بن عبد الرحمن أن يخرج معه

وذُكر : أنّه سأَل عُمَر بن عبد الرَّحمن بن عَوْف — وكان ولَّاه مَرْوَانُ ابن الحَكَم صَدَقاتِ بَنِى كَعْب وقُشَيْر وجَعْدَة — أَنْ يَخْرُج به مَعه، وقال: أَكُونُ مَعَك فى هذا الجَمْع الذى تَجْمَعه غداً ، وأُرَى فى أَصْحَابك وأَتَجَمَّل فى عَشِيرتى بك، وأَفخر بقُرْبك. فأَجابه إلى ذلك، وذلك قَبْلَ أن يَسْتحكم حُبُّه .فجاءه رَهْطُ لَيْلَى فأَخْبروه بقِصّته وأنه لا يريد التجمل به و إنما يريد أن يدخل بيوتهم ويفضحهم فى امرأة منهم يهواها ، وأنّهم شَكَوْه إلى السُّلطان فَأَهْدَر دَمَه إنْ دَخَلَ إليهم . فأَعرض عمّا أجابه إليه من أَخْذه معه ، وأَمر له بقَلائِصَ ، فردَّها وقال :

(١) البرم : اللئيم . والقتار : ريح اللحم المشوى . (٢) فى الأصل : « التلاحظ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : * إذا نطقت بما تخفى العيون *
وفى تزيين الأسواق : * وقد تغرى بذى اللحظ العيون *

رَدَدْتُ قَلائِصَ القُرَشِيِّ لَمَّا بَدَا لِي النَّقْضُ مِنْه للعُهودِ
وَرَاحُوا مُقْصِرين وخَلَّفُونى إلى حُزْنٍ أُعالِجُهُ شَدِيد

فرجَع آيساً ، فعاد إلى حاله الأُولى .

قصته مع نوفل ابن مساحق

ولم تَزَلْ تلك حالُه ، غيرَ مُسْتَوْحِش ، إنما يكون فى جنبَات الحيِّ مُنْفَرِداً عارياً ، لا يلْبس ثوباً إلّا خرقة ، يَهذِى ويُخطِّطُ فى الأرض ، ويلْعَب بالتُّراب والحِجارة ، ولا يُجِيبُ أَحداً سأَله عن شىء، فإذا أَحَبُّوا أن يتكلَّم أو يثوبَ إليه عَقْلُه ذكروا لَيْلَى ، فيقول : بأَبى هى وأُمِّى ! ثم يَرجِع إليه عَقْلُه فيُخاطِبُونه ويُجيبهم، ويأتيه أَحْدَاثُ الحىِّ فيُحَدِّثونه عنها، ويُنْشِدُونه الشعر الغزل، فيُجيبهم جَواباً صَحِيحاً ، ويُنْشِدُهم أَشعاراً قالها . حتى سَعَى عليهم (١) فى السَّنَة الثَّانيـة ، بَعْدَ عُمَر بن عبـد الرحمن ، نوفَلُ بنُ مُسَاحِق ، فنزل مَجْمَعًا من تلك المجَامِع ، فرآه يَلْعَب بالتُّراب وهو عُرْيان ، فقال لِغُلامٍ : ياغُلام ، هَاتِ ثَوْباً . فأَتاه به . فقال لِبَعْضِهم : خُذْ هـذا الثَّوبَ فأَلْقِه على ذلك الرَّجُل . فقـال له : أَتَعرِفُه ؟ جُعِلْتُ فداك ! قال : لا . قال : هذا ابنُ سَـيِّدِ الحَىِّ ، والله ما يلبس الثِّيَاب ، ولا يَزِيدُ على ما تراه يَفْعَلُه الآن ، وإذا طُرِحَ عليه شىءٌ خَرَّقه ، ولو كان يَلْبَس ثَوْباً لـكان فى مَالِ أبيـه ما يَكْفِيه . وحَدَّثه عن أَمْرِه . فدعا به وكلّمه ، فجَعَل لا يَعْقِل شَيْئاً يُكلِّمُه به . فقال له قَوْمُه : إنْ أردتَ أن يُجيبَك جَواباً صحيحًا فاذْكُرْ له لَيْلى . فَذَكرها له ، وسَأَلَه عن حُبِّه إيَّاها . فأَقْبَل عليه يُحَدِّثه بحَدِيثها ويشكو إليـه حُبَّه إيَّاها ، ويُنْشِدَه شِعْرَه فيها .فقال له نَوْفل : الحُبُّ صَيَّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسَيَنْتهى إلى ما هو أَشَدُّ مما تَرى . فعَجِب منـه ، وقال : أَتُحِبُّ أنْ أُزَوِّجَكها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سَبِيـل ؟ قال : انطَلِقْ معى

(١) سعى عليهم : أى ولى جباية صدقاتهم .

حتى أَقْدَم على أَهْلِها بِكَ، وأَخْطُبَها [عليك] ، وأُرَغِّبَهم فى المَهْرِ لها . قال : أَتُراك فاعِلًا ؟ قال : نعم . قال : أُنْظُر ما تَقُول ! قال : لك علىَّ أَنْ أَفعلَ ذلك . ودعا له بِثِيابٍ فألْبَسه إِيَّاها . وراح معه المَجنونُ كَأَصَحِّ أَصْحَابِه يُحَدِّثه ويُنْشده . فبلغ ذلك رَهْطَها ، فلَقُوه بالسِّلاح ، وقالوا : يا بن مُسَاحِق ، لا والله لا يَدخُل المَجْنُونُ مَنازِلَنا أبدًا أو نَمُوتَ ، وقد أَهْدر لنا السُّلطانُ دَمَه. فأَقْبَل بِهم وأَدْبر . فأَبَوْا . فلما رأى ذلك قال للمجنون : أُنْصرفْ . فقال له المجنون : واللهِ ما وَفَيْتَ بالعَهْد ! قال له : أُنصرافُك بعد أَنْ آيَسنى القَوْمُ من إجابتك أَصْلحُ من سَفْكِ الدِّماء. فقال المجنون :

أَيا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخَلِّسَ عَقْلُه ... فأَصْبَحَ مَذْهُوبًا به كُلَّ مَذْهَبِ
خَلِيًّا من الخُلَّانِ إِلَّا[1] مُعَذِّراً ... يُضَاحِكُنِي مَنْ كان يَهْوَى تَجَنُّبِى
إذا ذُكِرتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وراجَعَتْ ... عَوازِبُ عَقْلِى من هَوًى مُتَشَعِّبِ
وقَالُوا صَحِيحٌ ما بِهِ طَيْفُ[2] جِنَّةٍ ... ولا لهمُ إِلَّا افْتِرَاء[3] التكذُّبِ
وشَاهِدُ وَجْدِى دَمْعُ عَيْنِى وحُبُّها ... بَرَى اللَّحْمَ عن أَحْناءِ[4] عَظْمِى ومَنْكِبِى
تَجَنَّبت لَيْلَى أن يَلِجَّ بك الهَوَى ... وَهَيْهات كان الحُبُّ قبل التَّجَنُّبِ
وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بعد مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِى جِمَارَ[5] المُحَصَّبِ
ويُبْدِى الحَصَى مِنْها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ
وأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغداةَ كناظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرتِ يا أُمَّ مَالِكٍ ... صَدًى أَيْنَمَا تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ

(١) المعذر : المقصر الذى لا عذر له ، ولكنه يتكلف العذر .
(٢) طيف جنة ، أى مس من الجن .
(٣) فى بعض أصول الاغانى : «ولا الهم إلا بافتراء»
(٤) الأحناء : كل شىء فيه اعوجاج أو شبه اعوجاج ، وكذلك العظام ؛ الواحد : حنو .
(٥) المحصب : حيث ترمى الجمار .

من شعره

ومِمّا قاله المَجْنُون :

فوالله ثُمَّ اللهِ إنِّى لـدائِبٌ أُفكِّرُ ما ذَنْبى إليهـا وأَعْجَبُ
ووالله ما أَدْرى عَـلامَ قَتَلْتِنى وأىَّ أُمورى فيك يا لَيْـلَ أَرْكَبُ
أأَقْطَعُ حَبْـلَ الْوَصْلِ فالموتُ دُونَه أَمَ اُشْرَبُ رَنْقًا [1] منكمُ ليس يُشْرَبُ
أَمَ اُهْرُبُ حتَّى لا أَرَى لى مُجَـاوِراً أَمَ اُصْنَعُ ماذا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ
فأَيُّهما يا لَيْـلَ ما تَرْتَضِينَـه فإنِّى لَمَظْـلُومٌ وإنِّى [2] لَمُعْتَبُ

حجه بعد زواج ليلى

وقيل: إنّ أبَا المَجْنون وأُمَّه ورِجَالَ عَشِيرته اُجتمعوا إلى أبى لَيْلَى ، فوعظُوه وناشَدُوه الله والرَّحِمَ ، وقالُوا : إنَّ هـذا الرَّجُلَ هالِكٌ ، وقَبْـل ذلك فَفِى أَقْبَحَ من الهَلاكِ بذَهاب عقله ، وإنّك فاجِعٌ به أباه وأَهلَه ، فَنَشَدْناك الله والرّحِمَ أَنْ تفعَـل ذلك ، والله ما هِى أشرفُ منـه ، ولا لَكَ مِثْلُ مَالِ أبيه ، وقد حَـكَّمَك فى المَهْرِ ، وإن شِئْتَ أن يَخْـلَعَ لك نفسَه من مالِه فَعَـل . فَأَبى وحَلَف بِطَلاق أُمِّهـا إنَّه لا يُزَوِّجه إيّاها أَبداً ، وقال : أَفْضَحُ نَفْسى وعَشِيرتى وآتى ما لم يَأْتِه أَحَدٌ من العَرَب ، وأَسِم بِنْتى بِميسَم فَضيحةٍ ! فانْصَرَفُوا ، وخَالفَهم لِوَقْتـه فزوَّجهـا رَجُلاً من قَوْمِها ، وأَدْخَلَها إليـه . فما أَمْسَى إلّا وقد بَنَى بها . وبلَغَه الخبرُ ، فَأَيِس منها حينئذٍ وزَال عقْلُه جُمْلَةً .

فقال الحَىُّ لأبيـه : اُحْجُجْ به إلى مكَّة ، وادْعُ الله عزَّ وجلَّ ، ومُرْه أن يَتعَلَّق بأَسْتَارِ الـكَعْبة ، فيسألَ الله أنْ يُعَافِيَه ممّا به ، ويُبَغِّضَها إليـه ، فلعلَّ الله أن يُخَلِّصه مِن هذا البَـلاء . فحجَّ به أبوه ، فلمـا صاروا بِمِنًى سَمِع صائحًا باللَّيل يصيح : يا لَيْلى . فصَرخ صَرْخةً ظنُّوا به أنَّ نَفْسَه قد تَلِفَتْ ، وسَـقَط مَغْشِيًّا عليـه . فلم يَزَلْ كذلك حتى أَصْبَح . ثم أَفاق حائلَ اللَّون ذاهلاً ، فَأَنْشَأَ يقول :

(١) الرنق : الكدر . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « وإنى لمتعب » .

عَرَضْتُ على قَلْبى العزَاءَ فقال لِى ... مِن الآنَ فأيأسْ لا أَغُرّكَ[1] بالصَّبْرِ
إذا بانَ مَنْ تَهْوى وأصبح نائيًا ... فلا شَىْء أَجْدَى من حُلُولك فى القَبْرِ
ودَاعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن مِنًى ... فهَيَّجَ أَطْرَابَ[2] الفُؤاد وما يَدْرِى
دَعَا بأسم لَيْلَى ضَلّلَ اللهُ سَعْيَه ... ولَيْلَى بأرضٍ عَنْه نازِحَةٍ قَفْرِ

قُلت : ومن هذه الأبيات :

دَعا بأسْم لَيْلَى غَيْرَها فكأنّما ... أَطَار بلَيْلَى طائراً كان فى صَدْرِى

قال : ثم قال له أبوه : تعَلَّقْ بأَسْتار الكعبة وسَل الله عز وجلّ أن يُعافِيَك من حُبِّ ليلى . فتعلَّق بأستار الكَعْبة ، وقال : اللَّهم زِدْنى بلَيْلَى حُبًّا ، وبها كَلَفاً ، ولا تُنسِنى ذِكْرَها أبداً . فهام حِينئذٍ واخْتَلط ، ولم يَضْبِطْ .

فكان يَهِيمُ فى البرِّيَّة مع الوَحْشِ ، لا يأْكُل إلّا ما يَنْبُت فى البَريَّة من بَقْلٍ ، ولا يَشْرَب إلّا مع الظِّبَاء إذا وردَت مَنَاهِلَها . وطال شَعرُ جَسَدِه ورأسِه ، وأَلِفَتْه الوُحوش فكانت لا تَنفِر[3] منه . وجَعل يَهِيم حتى يبلغ حُدُود الشّأم ، فإذا ثاب إليه عَقْلُه سأل من يَمُرّ به مِن أحياء العَرب عن نَجْد ، فيُقال له : أين أنت من نجْد ! قد شارفْتَ الشَّأم ! أنتَ بِموضع كذا . فيقول : فأَرُونى وِجْهَةَ الطريق . فيَرْحَمُونه ويَعْرِضُون عليه أن يَحْمِلوه وأَنْ يَكْسُوه ، فيَأْبَى . فيَدُلُّونه على طريق نجْد ، فيتَوَجَّه نحوَه .

وذكر بَعضُهم ، قال :

كُنتُ ببئر مَيْمُون[4] ، وإذا جَمَاعَةٌ فوقَ تلك الجبَال ، وإذا معَهم فَتًى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا أعزك من صبر » .

(٢) أطراب : جمع طرب ، وهو الخفة تعترى الإنسان من شدة فرح أو حزن .

(٣) فى الأصل : « لا تفر » .

(٤) بئر ميمون : بمكة ، بين البيت والحجون . منسوبة إلى ميمون بن الحضرمى ، حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور .

أبيضُ أَقْنَى[١] طُوَالٌ[٢] جَعْد[٣] كأحسنِ مَنْ رَأَيْتُ من الرِّجال ، على هُزَال منه وصُفْرة ، وإذا هم مُتَعَلِّقُون به . فسَأَلتُ عنه . فقيل لى : هذا قيْس المَجْنُون ، خَرج به أبوه يَسْتَجير له بالبَيْت ، وهو على أنْ يأتىَ به قبرَ النبىّ صَلّى الله عليه وسلّم ، يَدْعُو له هناك ، فلعلّه أن يُكْشَفَ ما به .

وقالوا : إنّه لَيَصْنع بنَفسه صَنيعاً يَرْحَمُه منه عدوُّه . يقول : أَخْرِجُونى لَعَلِّى أَتَنَسَّم صَبَا نَجْدٍ . فيُخْرِجُونه ، فيَتَوَجَّه[٤] نحوَ نَجْد . ونحْن أيضاً نَخَاف أن يُلْقِىَ نَفْسه من الجَبَل ، فإن شِئْتَ الأَجْرَ دَنَوْتَ منه [فأَخْبَرْته أَنّك أَقْبَلْتَ من نَجْد . فدَنَوْتُ منه] ، وأَقبلُوا إليه ، وقالوا : يا أبا المَهْدىّ ، هـذا الفَتَى أقبلَ من نَجْد . فتَنَفَّس تَنَفُّسَةً ظَنَنْتُ أنّ كَبِدَه قد انْصَدَعَتْ . ثم جَعل يُسَائِلُنى عن وَادٍ وادٍ ، ومَوْضعٍ مَوْضعٍ ، وأنا أُخبره ، وهو يَبْكى أَحَرَّ بُكاء وأَوْجَعَه للقلْب ، ثم قال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى عَنْ عُوَارِضَتَىْ[٥] قَنًا ... لطُولِ اللَّيَالِى هَلْ تَغَيَّرتا بَعْدِى
وهل جارتَانَا بالبَتِيل[٦] إلى الحِمَى ... على عَهْدِنا أَمْ لم تَدُومَا على العَهْد
وعن عُلْوِيَّاتِ[٧] الرِّيَاحِ إذا جرتْ ... بِرِيحِ الخُزَامَى هَل تَهُبُّ على نَجْد
وعن أُقْحُوانِ الرَّمْل ما هو فَاعِلٌ ... إذا هو أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى[٨] جَعْد

(١) أقنى ، فى أنفه ارتفاع فى أعلاه بين القصبة والمارن ، من غير قبح .
(٢) طوال : مفرط فى الطول .
(٣) الجعد : المعصوب الجوارح الشديد الأسر والخلق ، فى غير استرخاء ولا اضطراب .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « فيتوجهون به » .
(٥) قنا : جبل ببلاد طيىء ، وعوارضة : جبل بأعلى ديار طيىء ، ذكره ياقوت ، ثم أنشد بيت قيس هذا .
(٦) البتيل : جبل بنجد .
(٧) علويات : جمع علوية ، نسبة إلى العالية ، وهى مافوق أرض نجد إلى تهامة ، نسبة نادرة ، والقياس : عالى .
(٨) الجعد : الندى .

وهل أنفُضَنَّ الدَّهْرَ أفنانَ لِمَّتى ... على لاحِقِ المَتْنَيْنِ مُنْدَلِقِ[1] الوَخْدِ
وهل أسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أصْوَاتَ هَجْمَةٍ[2] ... تَحَدَّرُ من نَشْزٍ[3] خَصِيبٍ إلى وَهْدِ

سؤاله زوج ليلى عن حاليهما

وقيل : مَرَّ المجنونُ ذاتَ يومٍ بِزَوج لَيْلَى ، وهو جَالِسٌ يَصْطلى فى يَوْمٍ شَاتٍ ، وقد أَتَى ابْنَ عَمٍّ له فى حَيِّ المجْنون لحاجَةٍ ، فوَقَف عليه ثم أَنْشَأ يقول :

بِرَبِّك هلْ ضَمَمْتَ إلَيْكَ لَيْلَى ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ أو قَبَّلْتَ فَاهَا
وهَلْ رَفَّتْ عليك قُرُون[4] لَيْلَى ... رَفِيفَ الأُقْحُوانَةِ فى نَدَاها

فقال : اللَّهم إذ حَلَّفْتَنى فنَعَمْ . قال : فقَبَض المجْنُونُ بكِلْتا يَدَيْه قَبْضَتَيْن من الجَمْر ، فما فارَقَهما حتى سَقَطَ مَغْشِيًّا عليه ، وسَقَط الجَمْرُ مع لَحْم راحَتَيْه . فقَام زوجُ لَيْلَى مَغمُوماً بفِعْله مُتعجباً منه .

مروره بجبلى نعمان

وقيل : إن أَهلَ المجنون خَرجوا به معهم إلى وادِى القُرَى[5] قبلَ تَوَحُّشِه لِيَمْتَارُوا[6] ، خوْفاً عليه من أن يَضِيعَ ويَهْلِكَ ، فمرُّوا فى طريقهم بِجَبَلَىْ نَعْمَان[7] . فقال له بعضُ فِتيَان الحىّ : هذان جَبَلا نَعْمان ، وقد كانتْ لَيْلَى تَنزِل بهما . قال : فأىُّ الرِّيَاح يأْتى من ناحيَتِهما ؟ قالوا : الصَّبَا . قال : فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تَهُبَّ الصبا . فأَقام ، ومضَوْا فامتَارُوا لانْفُسِهم ، ثم أَتَوْا عليه فأَقامُوا معه ثلاثَةَ أيّام حتى هَبَّت الصَّبَا ، ثم انْطَلق معهم وأَنْشأ يقول :

أَيَا جَبَلَىْ نَعْمانَ باللهِ خَلِّيَا ... سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصْ إلىَّ نَسِيمُهَا

(١) اللاحق : الضامر . والمتنان : جنبتا الظهر . والمندلق : السريع . والوخد : ضرب من سير الإبل والخيل ، معه سعة الخطو .
(٢) الهجمة : القطعة الضخمة من الخيل .
(٣) النشز : المكان المرتفع .
(٤) القرون : ذوائب الشعر . ورفت : اهتزت نضارة وحسناً .
(٥) وادى القرى : بين الشام والمدينة .
(٦) الامتيار : جلب الطعام .
(٧) نعمان : هو نعمان الأراك ، واد بين مكة والطائف . وقيل : هو واد لهذيل على ليلتين من عرفات .

أَجِدْ بَرْدَها أو تَشْفِ منى حَرَارَةً على كَبِدٍ لم يَبْقَ إلّا[1] صَمِيمُها
فإنَّ الصَّبَا رِيحٌ إذا ما تَنَسَّمَت على نفسِ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُها

وقوفه على آثار بيت ليلى

وقيل: لما مَنع أبو لَيْلَى المجْنُونَ وعَشِيرتُه من تَزوُّجها إيّاه، كان لا يزال يَغْشَى بُيُوتَهم ويَهجُمُ عليهم، فشَكَوْه إلى السُّلْطان، فأَهْدَر دَمَه لهم، فأَخْبَروه بذلك، فلم يَرْعه[2] وقال: الموتُ أَرْوَحُ لى، فلَيتَهم قتلُونى. فلمّا علِمُوا بذلك وعلِموا أنَّه لا يزَال يطلُب غِرَّةً[3] منهم، حتى إذا تفرّقوا دَخَل دارَهم، ارتَحلُوا وأَبْعَدُوا. وجاء المجنونُ عَشِيَّةً فأَشْرَف على دارهم، فإذا هى منهم بلاقِعُ[4]، فقصَد مَنزلَ لَيْلَى الذى كان بيْتُها فيه، فألْصَق صدرَه به وجَعل يتمرَّغ على تُرَابه وَيَبْكى، ثم أَنشأ يقول:

أَيَا حَرجَاتِ[5] الحَىّ يوم تَحَمَّلُوا بِذِى سَلَمٍ[6] لا جَادَ كُنّ رَبِيعُ
وخَيْماتُكِ اللَّاتِى بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
نَدِمْتُ على ما كان مِنِّى نَدَامَةً كما يَندم المَغْبُونُ حينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ من قَلْبٍ شَعَاعٍ[7] فإنَّنى نَهَيْتُكَ عن هـذا وأنتَ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتَ لى غَيْرَ القريبِ وأَشْرَفَتْ هُنَاكَ ثَنَايا[8] مالهنَّ طُلُوعُ

ليلى وقد أخلفته

وذُكر أنّ لَيْلَى وعدتْه قبل أن يَخْتلط أن تَستَزِيرَهُ لَيْلَةً إذا وَجَدَتْ فُرْصَة لذلك، فمَكَثَ مُدَّةً يُراسِلُها فى الوَفَاء، وهى تَعِدُه وتُسَوِّفُه، فأَتى

(١) صميمها: أصلها.
(٢) فى الأصل: «فلم يزعه».
(٣) غرة: غفلة.
(٤) بلاقع: خالية.
(٥) الحرجات: الغيضات، وهى الشجر الملتف؛ الواحدة: غيضة.
(٦) ذو سلم: موضع بالحجاز.
(٧) قلب شعاع: متفرق لا عزم له. وفى بعض أصول الأغانى: «نفس شعاع».
(٨) الثنايا: المراقى الصعبة فى الجبل؛ الواحدة: ثنية.

أَهلَها ذاتَ يَوْم والحىُّ خُلوف[1] ، فجلَس إلى نِسْوَةٍ من أَهْلِها حَجْرةً[2] منها بحيثُ تسْمَع كلامَه . فحادَثَهُنَّ طويلاً ، ثم قال : ألا أُنْشِدُكُنَّ أَبْيَاتاً أَحْدَثْتُها فى هذه الأيّام ؟ قُلْن : بَلى . فأَنْشَدَهُن :

يا للرِّجال لِهَمٍّ باتَ يَعْرُونى ... مُسْتَطْرَفٍ وقَديمٍ كاد يُبْلِينى
مَنْ عاذِرى من غَرِيمٍ غيرِ ذى عُسُر[3] ... يأْبَى فَيَمْطُلُنى دَيْنِى ويَلْوِينى
لا يُبْعِدُ النَّقْدَ من حَقِّى فَيُنْكِرَه ... ولا يُحَدِّثُنى أَنْ سَوْف يَقْضِينى
فما كشُكْرِىَ شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنى ... ولا مُنَاىَ سِواه لو يُوَاتِينى
أَطَعْتُه وعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهم ... فى أَمْرِهِ وهَوَاهُ وهُو يَعْصِينى

فقُلْنَ له : ما أَنْصَفَكَ هذا الغَرِيمُ الذى ذكَرْتَه ، وجَعَلْنَ يتضاحَكْنَ من قوله وهو يَبْكى ، فاسْتَحْيَتْ لَيْلَى منهن ورَقَّتْ [له] حتى بَكَت ، وقامَتْ ودَخلَت بَيْتَها وانصرف هو .

حديثه مع ليلى وقد أتى أهلها يسألهم أدما

وذُكر أنّه قيل لقَيْس بن المُلَوَّح المجنون قَبل أن يَخْتلِط : ما أَعْجَبُ شىء أصابك من وَجْدِك بلَيْلَى ؟ قال : طَرَقَنا ذاتَ ليلة أَضْيافٌ ، ولم يكُنْ عندنا أُدْمٌ ، فبَعَثَنِى أَبِى إلى مَنْزِل أبى لَيْلَى ، وقال : اُطْلُبْ منهم لنا أُدْماً . فأَتَيْتُه فوَقَفْتُ على خِبائه وصِحْتُ . فقال : ماتشاء ؟ فقلت : طَرَقَنا ضِيفَانٌ ولا أُدْمَ لنا ، فأرسَلَنى أَبى أَطْلُب منك أُدْماً . فقال : ياليلى ، أَخْرِجى ذلك النِّحْىَ[4] فاُمْلَئى له إناءَه من السَّمْن . فأَخْرَجَتْه ، ومعى قَعْبٌ ، فجَعَلَتْ تَصُبُّ السَّمن لى فيه ونتحَدَّثُ ، فأَلْهَانا الحَديثُ وهى تَصُبُّ السَّمْن ، وقد اُمْتَلأَ القَعْبُ ولا نَعْلم جَمِيعاً ، وهو يَسِيل حتى اُسْتَنْقَعَتْ أَرْجُلُنا فى السَّمن .

(١) حى خلوف : قد غاب رجاله وأقام نساؤه .
(٢) حجرةٌ منها : أى ناحية منها .
(٣) العسر : بضمتين ، لغة فى العسر ، بالضم .
(٤) النحى : الزق الذى يوضع فيه السمن خاصة .

هو وليلى وقد أتى أهلها يطلب نارا

قال : وأتَيْتُهم ليلةً ثانيةً أَطْلُب ناراً ، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُرْدٍ لى[1] . فأَخْرَجَتْ لى ناراً فى عُطْبَةٍ[2] فأعطَتْنيها ، ووقَفْنا نَتَحَدَّث ، فلمَّا احْتَرَقَتْ العُطْبَةُ خرّقْتُ من بُرْدِى خِرْقَةً ، وجَعَلْتُ النَّارَ فيها ، وكلّما احترقتْ خَرّقْتُ أُخْرَى وأَذْكَيْتُ بها النَّارَ ، حتَّى لم يَبْقَ علىَّ من البُرْدِ إلّا ما وارَى عَوْرَتى ، وما أَعْقِلُ ما أصْنَع .

شعر له يدعى لنصيب

وأنْشد المجنون :

كأنّ على أَنْيابِها الخمرَ[3] شَجَّها ... بماءِ النَّدَى فى آخِرِ اللَّيْلِ[4] غابِقُ

وما ذُقْتُها إلَّا بعَيْنِى تَفَرُّساً ... كما شِيمَ[5] من أعْلى السَّحابة بارِق

ويُدعى هذا الشعر لنُصيب .

هوولیلى بعد أن سألتها أمه لقاءه

وقيل : لمّا اختلط عَقْل المجنون وترك الطَّعامَ والشَّراب ، مَضَتْ أُمُّه إلى ليْلى فقالت لها : إنّ قَيْسًا قد ذَهب حُبُّكِ بعَقْله ، وترَكَ المَطْعم والمَشْرب ، فلو جِئْتِه وقتاً لَرَجَوتُ أن يَثُوبَ إليه بَعْضُ عَقْله. فقالت ليلى:أمَّا نَهاراً فلا ، لأنِّى لا آمَنُ قَوْمِى على نَفْسى، ولكن ليلاً . فأتته ليلاً فقالت له : يا قَيْس ، إنّ أُمَّك تَزْعُمُ أنَّك جُنِنْتَ من أَجْلى وتركتَ المَطْعم والمَشْرَب ، فاتَّقِ اللهَ وأَبْقِ على نَفْسِك . فبَكى وأَنْشَأَ يقول :

قالتْ جُنِنْتَ على رَأْسِى[6] فقُلْتُ لها ... الحُبُّ أَعْظَمُ ممّا بالمجَانِينِ

الحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُه ... وإنّما يُصْرَعُ المَجْنونُ فى الحِين

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ببردتى » .

(٢) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار .

(٣) شجها : مزجها .

(٤) الغابق : الساقى فى الغبوق ، أى العشى .

(٥) شام : نظر .

(٦) كذا فى الأصل وبعض أصول الأغانى وتزيين الأسواق . وفى سائر أصول الأغانى : « على أيش » أى على أى شىء . قال الخفاجى : إنها سمعت من العرب ، ووردت فى شعر قديم .

قال : فبكَتْ معه . وتحدَّثا حتى كاد الصُّبحُ يُسْفِر ، ثم ودَّعَتْه وانْصَرَفَتْ . فكان آخرَ عَهْدِه بها .

سبب تسميته بالمجنون

وقيل : إنه إنما سُمِّىَ المجْنُونَ بقوله :

ما بَالُ قَلْبِكَ يا مَجْنُونُ قَدْ خُلِعَا ... مِنْ حُبِّ مَنْ لا تَرَى فى نَيْلِهِ طَمَعَا
الحُبُّ والوُدُّ نِيطَا بالفُؤادِ لهـا ... فأَصْبحَا فى فُؤَادِى ثَابِتَيْنِ مَعا

ومن قوله فى جُنونِه :

يُسَمُّونَنى المَجْنُونَ حِينَ يَرَوْنَنى ... نَعَم بِىَ من لَيْلَى الغَـدَاةَ جُنُونُ
لَيَالِىَ يُزْهَى بى شَبَابٌ[1] وشِرَّةٌ ... وإذْ بِىَ مِنْ خَفْضِ المَعِيشَةِ لِين

وقيل : بل سُمِّىَ المجنون بقوله :

وإنِّى لمجنونٌ بِلَيْلَى مُوَكَّلٌ ... ولَسْتُ عَزُوفاً[2] عن هَوَاها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ لَيْلَى بَكَيْتُ صَبَابَةً ... لِتَذْكارِها حتى يُبِلَّ البُكَا الخَدَّا

وقيل : بقوله :

وبِى مِنْ هَوى لَيْلَى الَّذى لو أَبُثُّه ... جَمَاعة أَعدائِى بَكَتْ لى عُيُونُهـا
أُرَى النَّفْسَ عن لَيْلَى أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِى ... فقدْ جُنَّ مِنْ وَجْدٍ[3] بِلَيْلَى جُنُونُها

وقيل : بقوله :

يَقُول أُناسٌ عَلَّ مَجْنُونَ عَامِرٍ ... يَرُومُ سُلُوًّا قُلْتُ أَنَّى لِمَا بِيَا
وقد لامَنِى فى حُبِّ لَيْلَى قَرَابَتِى ... أَخِى وابْنُ عَمِّى وابْنُ خالِى وخَالِيا
يقُولون لَيْلَى أَهْلُ بَيْتٍ عَدَاوَةٍ ... بِنَفْسِىَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ ومَالِيا

من شعره

وقال أيضاً :

وشُغلتُ عن فَهْمِ الحديث سوى ... ما كان منكِ فإنّه شُغْلِى
وأُديم لَحْظ مُحَدِّثى لِيرَى ... أن قد فهمتُ وعندكم عَقلى

(١) الشرة : نشاط الشباب . (٢) العزوف : المنصرف عن الشىء زهدا فيه أو كراهية له .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وجدى » .

وقال أيضاً :

أَلاَ ما لِلَيْلَى لا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِى ... بِلَيْلٍ ولا يَجْرِى بذلك طَائِرُ
بَلَى إنَّ عُجْمَ الطَّيْرِ تجْرِى إذا جَرَتْ ... بِلَيْلَى ولكن ما لِذَلك زَاجِر
أَزَالتْ عَنِ العهْدِ الذى كان بَيْنَنا ... بذى الأَيْكِ[1] أَمْ قد غَيَّرَتْها المَقَادِر
فواللهِ ما فى القُرْبِ لى مِنْكِ رَاحَةٌ ... ولا البُعْدُ يُسْلِينى ولا أَنَا صَابِر
ووالله ما أَدْرِى بِأَيَّةِ حِيلَةٍ ... وأَىِّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ[2] أُخَاطِر
وتالله إنَّ الدَّهْرَ فى ذاتِ بَيْنِنا ... عَلَىَّ لها فى كُلِّ حالٍ لَجَائِر
فَلَوْ كُنْتِ إذْ أَزْمَعْتِ هَجْرِى تَرَكْتِنى ... جَمِيعَ[3] القُوَى والعَقْلُ مِنِّى وَافِر
وقَد أَصْبَحَ الوُدُّ الذى كان بَيْنَنا ... أَمَانِىَّ نَفْسٍ والمُؤَمِّلُ حَائِر
لَعَمْرِى لقد رَنَّقْتِ[4] يا أُمَّ مَالِكٍ ... حَيَاتى وساقَتْنى إلَيْكِ المَقَادِر

وقال أيضاً :

نَهَارِى نَهَارُ النَّاسِ حتى إذا بَدَا ... لِىَ اللَّيْلُ هَزَّتْنى إلَيْكِ المَضَاجِعُ
أُقَضِّى نَهَارِى بالحديث وبالمُنَى ... ويَجْمَعُنى والهَمَّ باللَّيْلِ جَامِع
لَقَدْ ثَبَتَتْ فى القَلْبِ منكِ مَوَدَّةٌ ... كما ثَبَتَتْ فى الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِع

وقال أيضاً :

أَظُنُّ هَوَاها تَارِكِى[5] بِمَضَلَّةٍ ... من الأَرْضِ لا مَالٌ لَدَىَّ ولا أَهْلُ
ولا أَحَدٌ أَقْضِى إليه[6] وصِيَّتِى ... ولا صَاحِبٌ إلَّا المَطِيَّةُ والرَّحْل
مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَها ... وحَلَّتْ مَحَلاًّ لم يَكُنْ حُلَّ مِن قَبْل

(١) وهى رواية تزيين الأسواق أيضاً (ص ٧٩) . وفى بعض أصول الأغانى : « بذى الأثل » .
(٢) الخطار : الرهان . وأخاطر : أراهن . (٣) جميع : مجتمع .
(٤) رنقت : كدرت . (٥) المضلة ، بفتح الضاد وكسرها : المكان يضل فيه الإنسان .
(٦) أقضى إليه وصيتى : أنهيها إليه وأبلغه إياها . . وفى الأصل : « أفضى » بالفاء ، وهو مما يتعدى بالباء .

شعره وقد زوجت ليلى فى ثقيف

وقيل : زُوِّجت رجُلاً من ثَقيف ، فقال :

دَعَوْتُ إِلهى دَعْوَةً ما جَهِلْتُهـا ... وربِّى بِمَا تُخْفِى الصُّـدُورُ[1] خَبِيرُ
لئن كنتَ تُهْدِى بَرْدَ أنْيَابِها العُـلَا ... لأَفْقَـرَ مِنِّى إنَّنى لَفَقِـيـر
فقد شاعَت الأَخْبَارُ أَنْ قد تزَوَّجَتْ ... فَهَـلْ يَأْتِيَنِّى بالطَّلاق بَشِـيـر

وقال أيضاً :

ألا تِلْكَ لَيْلَى العَـامِرِيَّـةُ أَصْبَحَتْ ... تَقَطَّعُ إلّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبَالُهـا
هُمُ حَبَسُوها مَحْبَسَ البُـدْنِ وابْتَغَى ... بها المَـالَ أَقْوَامٌ أَلاَ قَلَّ مالُهـا

وجَعَلَ يَمُرُّ ببَيتها ولا يَسْأَلُ عَنْها ولا يَلْتَفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه :

أَلَا أيُّها البَيْتُ الذى لا أَزُورُه ... وإن حَلَّه شَخْصٌ إِلَىَّ حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إشفَاقاً وزُرْتُكَ خَائِفاً ... وفيك علىَّ الدَّهرَ مِنْكَ رَقِيب
سَأَسْتَعْتِبُ الأَيَّامَ فِيكَ لعَلَّهـا ... بِيَوْمٍ سُرُورٍ فى الزَّمان تؤُوب

وبَلَغه أنّ أَهْلَها يُرِيدُون نَقْلَها إلى زوْجِها الثَّقَفىّ ، فقال :

كَأَنَّ القَلْبَ لَيلَةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العَـامِرِيَّـةِ أَو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّها[2] شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجَاذِبُه وقدْ عَلِقَ الجَنَـاح

فلَمّا نُقِلَتْ إلى الثَّقَفِىّ قال :

طَرِبْتَ وشَاقَتْكَ الحُمُولُ الدَّوافعُ ... غَـدَاةَ دَعَا بالبَيْنِ أَسْـفَعُ[3] نَازِعُ
شَـحَا فَاهُ نَعْباً بالفِراق كأنه ... حَرِيبٌ سَلِيبٌ نَازِحُ الدارِ[4] جَازِع
فقلتُ أَلا قد بَيَّنَ[5] الأَمْرُ فانْصَرِفْ ... فَقَـدْ راعَنَا بالبَيْن قَبْلَكَ رَائِـع

---

(١) فى الأصل : « قدير » مكان «خبير» . (٢) عزها : غلبها .

(٣) الحمول : أى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المندفعة فى السير . والأسفع : الأسود. والنازع : المسرع ، يريد غراباً .

(٤) شحا فاه : فتحه . والنعب : الصياح والتصويت . والحريب : المسلوب . وفى الأصل : « غريب » مكان « سليب » .

(٥) بين الأمر : تبين .

سُقِيتَ سِمَامًا من غُرابٍ فإنّنى ... تبيَّنْتُ ماخبَّرْتَ مُذ أنتَ[1] وَاقِعِ
ألم تَرَ أنّى لا مُحِبٌّ أَلُومُه ... ولا بِبَدِيلٍ بَعْدهم أنا قانِعِ
وقد يَتَنَاءَى الإِلْفُ من بَعْد قُرْبه ... وَيَصْدَعُ ما بَيْنَ الخَلِيطَيْن صَادِعِ
وكم من هَوًى أو جِيرَةٍ قد أَلِفْتَهم ... زَمَانًا فلمْ يَمْنَعْهُم البَيْنَ مَانِعِ

ومنها :

فلمَّا اسْتَوَتْ تَحْتَ الخُدُورِ وقد جَرَى ... عَبِيرٌ ومِسْكٌ بالعَرَانِين[2] رَادِعُ
أَشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمَالَ فقد بَدَا ... من الصَّيْفِ يَوْمٌ لافِحُ الحرِّ[3] ماتِعِ
فلمّا لَحِقْنَا بالحُمُول تَبَاشَرَتْ ... بنا مُقْصِراتٌ غَابَ عنها المُطَالِعِ
تَعَرَّضْنَ[4] بالدَّلِّ المَلِيحِ وإنْ يُرِدْ ... جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهُنَّ مَوَانِعِ
فقلتُ لأصْحَابى ودَمْعِىَ مُسْبَلٌ ... وقد صَدَعَ الشَّمْلَ المُشَتَّتَ صَادِعِ
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الخُدورِ تَعَرَّضَتْ ... لِعَيْنَيَّ أَمْ قَرْنٌ من الشَّمْسِ طَالِعِ

تردده على التوباذ حيث كان يلقى ليلى

وقيل : كان المجنون وليلَى ، وهما صَبِيَّان ، يَرْعَيَانِ غَنَماً لأَهْلهما عند جَبَلٍ فى بلادِهما ، يُقال له : التَّوْباذ[5] ، فلمَّا ذَهَب عَقْلُه وتَوحش كان يَجىء إلى ذلك الجَبَل فَيُقيم فيه ، فإذا تَذَكر زَمن[6] كان يُطيفُ به هو وليْلَى جَزِع واسْتَوْحَش ، وهَام على وَجْهِه حتى يَأْتِيَ نَوَاحِيَ الشَّأم ، فإذا ثَاب إليه عَقْلُه رأى بَلَداً لا يَعْرِفُه ، فَيَقُولُ للنّاس الذين يَلْقَاهُم : بأَبى أنتم ! أَيْنَ التَّوْباذ من أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأَيْنَ أَنْتَ من أرض بَنى عامر ؟ أَنتَ بالشَّأم ، عليك بِنَجْمِ كَذا فَأُمَّه . فَيَمْضِى على وَجْهِه نحو ذلك النَّجْم ، حتى يَقَعَ بأرض اليَمن ،

(١) واقع : قد حط على مكان .
(٢) رادع : أى مردوع به الجسد والثوب ، أى ملطخ .
(٣) ماتع : طويل .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يعرضن » .
(٥) كذا فى ياقوت ، وضبطه البكرى بالدال المهملة ، وهو جبل بنجد .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « أيام » .

فيرى بلاداً يُنكِرُها وقوماً لا يعرِفُهم ، فيسألهم عن التَّوْباذ وأرض بنى عامر ، فيقولون له : وأينَ أنت مِن أرض بنى عامر ! عليكَ بِنَجْم كذا وكذا . ولا يزالُ كذلك حتى يقَع على التَّوْباذ ، فإذا رآه قال :

وأَجْهَشْتُ[1] لِلتَّوْباذ حينَ رَأَيْتُه ... وكَبَّر لِلرَّحمن حين رَآنِى
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ العَيْنِ لَمَّا عَرفْتُه ... ونادَى بِأَعْلَى صَوْتِه فدَعَانى
فقلتُ له قد كان حَولَكَ جِيرَةٌ ... وعَهْدِى بذاكَ الصَّرْم مُنْذُ زَمان
فقال مَضَوْا واستَوْدَعُونى حَدِيثَهُم ... ومن ذا الذى يَبْقَى على الحَدَثَان
وإنّى لَأَبْكى اليَوْمَ من حَذَرى غَداً ... فِراقَكَ والحَيَّان مُؤْتَلِفَان
سِجَالاً وتَهْتَاناً ووَبْلاً وَدِيمَةً ... وسَحًّا وتَسْكَاباً[2] إلى هَمْلان

سبب مرضه

وقيل : إنه لمّا قال المَجنون :

خَلِيلَىَّ لا واللهِ لا أَمْلِكُ الذى ... قَضَى اللهُ فى لَيْلَى ولا ما قَضَى لِيَا
قَضَاها لِغَيْرِى وابْتلانى بحُبِّها ... فَهَلَّا بشَىءٍ غَيرِ لَيْلَى ابْتَلانيا

مَرِضَ .

عود إلى شعره

وقال المَجْنُونُ أيضاً :

وأَحْبِسُ عَنْكِ النَّفْسَ والنَّفْسُ صَبَّةٌ ... بِذِكْرَاكِ والمَمْشَى إليكِ قَرِيبُ
مَخَافَةَ أن يَسْعَى الوُشَاةُ بِظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يَسْتَرِيبَ مُرِيب
لقد جَعَلَتْ نَفْسى ـ وأَنْتِ اجْتَرَمْتِها[3] ... وكُنْتِ أَعَزَّ النّاس ـ عنك تَطِيب
فلَوْ شِئْتِ لم أَغْضَبْ عَلَيْكِ ولم يَزَل ... لَكِ الدَّهرَ منِّى ما حَيِيتِ نَصِيب

(١) أجهش : تهيأ للبكاء .
(٢) فى الأصل : « وتهملان » مكان «الى همْلان» . وما أثبتناه من الديوان .
(٣) الاجترام : الصرم والقطيعة . يريد : وأنت قطعتنى وهجرتنى . والاجترام أيضاً : كسب الذنب . يريد : اجترمت هذه القطيعة ، أو هذه الفعال من استماعك إلى الوشاة . وفى بعض أصول الأغانى : « اجترمته » . يريد : الذنب ، أى استماعك إلى الوشاة . والرواية فى الأصل : « اخترمتها » . بالخاء . والاخترام : الاستئصال والاقتطاع . يريد وصف العناء الذى بلغ به مبلغ هذا .

البيغاء وصديق له أحب قرشية

قُلْتُ : واستطْرَد أبو الفَرج بحكاية ليستْ من أخبار المجنون ظريفة ، تتعلّق بقوله :

« لقد جَعلت نَفْسى وأَنْت أُجترمتها[1] وكنت أعزّ النـاس عنك تَطيب »

وهى : حَكى[2] أبو الحسن البَبَّغاء[3] قال : بينا أنا وصديقٌ لى من قُريش نمْشى بالبَلاط[4] ليلاً ، إذا بِظِلٍّ نِسْوة فى القمَر ، فَسَمِعْتُ إحداهنّ تقول : هو هو؟ فقالت لها أخرى معهـا : إى والله لهو هو ! فدنتْ منّى ثم قالت : يا كَهْلُ ، قُلْ لهـذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ[5] بعـائدةٍ كما عَهِـدتَ ولا أيَّامُ ذى سَـلَمِ

فقلتُ : أَجِبْ فقد سَمِعْتَ . فقال : قد والله قُطِـع بى وأُرْتج علىّ ، فَأَجِبْ عنّى . فقلت :

فقلتُ لهـا يا عَزّ كُلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

ثم مَضَيْنَا حتى إذا كُنَّا فى مُفْتَرَقِ طَرِيقَيْن ، مَضَى الفَتَى إلى مَنْزِله ومَضَيْتُ إلى مَنْزِلى ، فإذا أنا بِجُوَيْرِيةٍ تَجْذِبُ ردائى ، فالتفَتُّ . فقالت [لى] : المرأةُ التى كَلَّمْتَها تَدْعوك . فمضَيْتُ معها ، حتى دَخَلْتُ داراً واسعَةً ، ثم صِرْتُ إلى بَيْتٍ فيه حَصيرٌ ، وقد ثُنِيَتْ لى فيـه وِسَادةٌ ، فجَلَسْتُ عليها . ثم جاءتْ الجـارية بوسادة مَثْنِيَّـةٍ فطَرَحَتْها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليهـا ، وقالت لى : أنتَ المُجيب ؟ قلتُ : نَعَم . قالت : ما كان أَفظَّ جَوابَك وأَغْلَظَه ! فقلتُ : ماحَضَرنى غيرُه . فسكتتْ ثم قالت : ما خلق الله خَلْقاً أحَبَّ إلىَّ من إنسـان كان معك ! فقلتُ : أنا الضَّامِنُ لك عنـه ما تُحِبِّين . فقالت : هيهـاتَ أن يقَع بذلك وفاءٌ !

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « حدث » .
(٣) فى الأصل : « اليزبعى » . (٤) البلاط : موضع بالمدينة .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « جمع » وهى المزدلفة .

فقلتُ : أنا الضَّامِن وعلىَّ أنْ آتِيَك به الليلةَ القابلةَ . قال : فانصرفتُ ، فإذا الفتى ببابى، فقلتُ: ماجاء بك ؟فقال : ظَنَنْتُ أنَّها سَتُرْسِل إليك ، وسألتُ عنك فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنَّك عندها ، فجلستُ أنتظرك . فقلت : قد كان الذى ظننتَ ، وقد وعدتُها أنْ آتيكَ فأَمْضِىَ بكَ إليها فى الليلة المُقبلة .

فلمّا أصْبحنا تَهَيَّأْنا وانتظَرْنا المَساء . فلما جاء اللَّيْلُ رَحَلنا إليها ، فإذا الجارِيةُ مُنْتَظِرةٌ لنا ، فمضَتْ أمامَنا حِينَ رَأَتْنا ، حتَّى دَخلتْ تِلك الدَّارَ ، ودخلنا معها ، فإذا رَائحةٌ طَيبةٌ ومجلس قد أُعِدَّ ونُضِّد . فجلَسْنا على وسائِدَ قد ثُنِيتْ . وجلستْ مَلِيًّا ، ثمَّ أقبلتْ عليه تعاتبُه مَلِيًّا ، ثم قالتْ :

وأنتَ الّذى أَخْلَفْتَنِى ماوعَدْتَنى ... وأَشْمَتَّ بى مَن كان فيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنى للنَّاسِ ثم تَرَكْتَنِى ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَلِيم
فَلَو كان قَولٌ يَكْلِمُ الجِلْدَ قد بَدَا ... بِجِلْدِىَ مِنْ قَولِ الوُشاةِ كُلُوم

— والأبيات لصاحبة ابْنِ الدُّمَيْنة ، وهى أُمَيْمَة — قال: ثم سكتتْ ، وسَكَت الفتى هُنَيْهَةً ، ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِر وخُنْتِ ولم أَخُن ... وفى بَعْض هـذا للمُحِبِّ عَزَاء
جَزَيْتُكِ ضِعْف الوُدِّ ثم صَرَمْتِنى ... فَحُبُّك من قَلْبى إليك أَدَاء

فالتفتتْ إلىّ وقالت : ألَا تَسْمع ما يقول ! قد خَبَّرْتُك ! قال : فغمزتُه : أنْ كُفَّ . فَكَفَّ . ثم أقبَلَتْ عليه ، وقالت :

تَجاهَلْتَ وَصْلِى حين لَجَّتْ[1] عَمَايَتى ... فهَلَّا صَرَمْتَ الحَبْلَ إذ أَنَا أُبْصِرُ
ولِى مِن قُوَى الحَبْل الَّذى قد قَطَعْتَه ... نَصِيبٌ وإذ رَأْيِى جَمِيعٌ[2] مُوَفَّر
ولكنّما آذنتَ بالصَّرْم بَغْتَةً ... ولَسْتُ على مِثْلِ الذى جِئْتَ أَقْدِر

(١) لجت : دامت وبقيت . (٢) فى الأصل : « الجميع » .

فقال :

لقد جعلتْ نفسِى وأنتِ[1] أجْتَرَمْتِها ... وكنتِ أعزَّ الناسِ عنكِ تَطيبُ

قال : فبكتْ ، ثم قالت . أَوَقد طابتْ نفسُك ! لا ! والله ما فيك بعد هذا خَيْر ! ثم أُلتفتتْ إلىّ فقالت : قد علمتُ أنك لاتفِى بضَمانك ، ولايَفِى[به] عنك.

[ج ٢]
رجعة الى شعر المجنون

ومِمّا قاله المَجنون :

يَضُمُّ إلىَّ اللَّيلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضَمَّ أزرارَ القَميصِ البَنَائِقُ

وماذا عَسَى الواشُون أن يتحَدَّثُوا ... سِوَى أن يقُولُوا إنّنى لَكِ عاشِق

نَعم صَدَق الواشُون أنتِ حَبِيبةٌ ... إلىَّ و إنْ لم تَصْفُ مِنْكِ الخلائق

شعره فيما كان بين ليلى وجارة لها من عقيل

وقيل : دَخلتْ لَيْلى على جارة لها من عُقَيْل ، وفى يدها مِسْواكٌ تَسْتَاكُ به ، فتنفَّستْ ثم قالت: سَقَى الله من أَهدى لى هذا المِسواك ! فقالت لها جارتُها : مَنْ هو ؟ قالت : قَيْسُ بن الملوّح. ثم نَزعت ثيابها تَغْتَسِل،فقالت : وَيْحه ! لقد عَلِق به منِّى ما أَهْلكه من غير أن أَسْتَحِقَّ[2] ذلك، فنَشَدْتُكِ الله ،أصَدَق فى صِفَتى أم كَذَب ؟ فقالت : لا والله ، بل صَدَق . و بلغ المجنونَ قولُها فبَكَى ، ثم أَنْشأَ يقول :

نُبِّئْتُ لَيْلَى وقد كُنّا[3] نُبَخِّلُها ... قالتْ سَقى اللهُ غَيْثاً مَنْزِلاً خَرِبا

وحَبَّذا راكِبٌ كُنَّا نَهَشُّ له ... يُهْدِى لَنَا مِن أَرَاكِ المَوْسِم القُضُبا

قالتْ لجارتها يوماً تُسَائِلُها ... لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وأَلْقَتْ عندها[4] السَّلَبا

يا عَمْرَكِ[5] الله ألَّا قُلْتِ صادقةً ... أصدَّقَتْ صِفَةُ المَجْنون أم كَذَبا

شعره وقد وعظه عامرى غب مطر

وذَكَر رَجُلٌ من بنى عامر قال :

مُطِرْنا مَطَراً شَدِيداً فى رَبيع أُرْتَبعناه ، ودام المَطَرُ ثَلاثاً ، ثم أصْبَحْنا

(١) فى الأصل : « اخترمتها » . وانظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء .
(٢) فى الأصل : « يستحق » . (٣) فى الأصل : « نبجلها »مكان « نبخلها » .
(٤) السلب : كل ما على الإنسان من ثياب . . (٥) فى الأصل : « أعمرك » .

فى اليوم الرَّابع على صَحْوٍ ، وخَرج النـاسُ يَمْشُون على الوادِى ، فرأيتُ رَجُلاً جالِسًا حَجْرَةً [١] وحدَه ، فقصـدتُه ، فإذا هو المَجنون جالِسٌ وحدَه يَبْكى ، فوَعَظْتُه وكَلَّمتُه طَوِيلاً ، وهو ساكت . ثم رَفَع رَأْسَه إلىَّ وأَنْشَـدَنى بِصَوْتٍ حَزين ، لا أَنساهُ أَبَدًا وحُرْقَته :

جرَى السَّـيْلُ فاسْتَبْكَانِىَ السَّـيْلُ إذْ جَرَى
وفَاضَتْ له من مُقْلَتَىَّ [٢] غُـرُوبُ

وما ذاك إلّا حِينَ خُـبِّرْتُ أَنَّه ... يَمُرُّ بوادٍ أَنْتِ منـه قَرِيب
يكون أُجَاجًا دُونَـكم فإذا انْتَهَى ... إليـكم تَلَقَّى طِيبَكُم فَيَطيب
أَظَلُّ غريبَ الدَّارِ فى أَرْض عَامِرٍ ... أَلا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنـاك غَرِيب
وإنّ الـكَئيبَ الفَرْدَ من جَانِبِ الحِمَى ... إلىَّ وإنْ لم آتِـهِ لَحَبِيب
فلا خَـيْرَ فى الدُّنيـا إذا أنتَ لم تَزُر ... حَبِيباً ولم يطْرَب إليـكَ حَبيب

وأوَّلُ هذه القصيدة :

أَلا أيُّهـا البَيْتُ الذى لا أَزُورُه ... وهِجْـرَانُه منّى إليـه ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْـتاقًا وَزُرْتُكَ خَائِفًا ... وفيـك عَلَىَّ الدّهْرَ مِنْكَ رَقِيب
سَأَسْـتَعْطِف الأيَّامَ فيـك لَعَلَّهـا ... بيومِ سُرورٍ فى هَـواكَ [٣] تُثِيب
لَئِنْ حَالَ يأْسٌ دُونَ لَيْلى لَرُبَّمـا ... أَتى اليأْسُ دون الأَمْر وهو قَرِيب
ومَنَّيْتنِى حتى إذا ما رأَيْتنِى ... على شَرَفٍ للنَّـاظِرين يُرِيب
صَدَدْتِ واشْمَتَّ العَـدُوَّ بصَرْمِنـا ... أَثَابكِ يالَيلَى الجَـزَاءَ مُثيب

وقد رُوى البيتانِ الأوَّلان لمحمد بن أُميّة .

---

(١) حجرة : ناحية .
(٢) الغروب : الدموع .
(٣) فى الأصل : «تنيب» مكان « تثيب » .

لقاؤه ليلى فجأة

وذُكِر أنّ المجنون مَرَّ فى بَعْض توَحُّشه ، فَصادف حَيَّ لَيْلى راحلًا ولَقِيَها فَجأةً ، فعرفها وعَرَفَتْه ، فَصَعِقَ وسَقَط على وَجْهه ، وأقْبَلَ فِتْيانٌ من حَيِّ لَيلى ، فأخذوه ومَسَحُوا التُّراب عن وَجْهه ، وأَسْنَدُوه إلى صُدُورهم ، وسَأَلُوا ليْلى أن تَقِفَ له وَقْفَةً ، فرَقَّت لما به وقالت : أمّا هـذا فلا يَجُوز أَنْ أفْتَضِحَ به ، ولـكن يا فُلانَة ، لأَمةٍ لها : اُذْهَبى إلى قَيس فقُولى له : ليْلى تقرأُ عليك السَّلامَ وتقول لك : أَعْزِزْ عَلَيَّ بما أنت فيـه ، ولو وجدتُ سبيلًا إلى شِفاء دائك لوقيتُك بنَفْسِى منه . فمَضَتِ الوليدةُ إليه ، فأخبرتْه بقولها ، فأَفاق وجلس وقال : أبلِغيها السَّلامَ ، وقُولى : هيهات ! إن دائى ودوائى أنتِ ، و إنّ حياتى ووفاتى لَفِى يدَيْك ، ولقد وَكَّلْتِ بى شقاءً لازماً و بلاء طَويلا . ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لاصْحابِى هى الشَّمْسُ ضَوْءُها ... قَريبٌ وَلـكِنْ فى تَنَاوُلِهـا بُعْـدُ
لقـد عارضَتْنا الريحُ منهـا بنَفْحَةٍ ... على كَبِدى مِن طِيب أَرْوَاحِهـا بَرْد
فمـا زِلْتُ مَغْشِـيًّا علىَّ وقد مَضَتْ ... أَنَاةٌ[1] وما عِنـدى جَوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلِّبُ بالأَيْدِى وأَهْلى[2] بعوْلَةٍ ... يُفَدُّوننى لو يَسْتطيعون أنْ يَفْدُوا
ولم يَبْقَ إلّا الجِـلْدُ والعَظْمُ عَارياً ... ولا عَظْمَ لِى إنْ دَامَ ما بِى ولا جِـلْد
أَدُنْيايَ مالِى فى أُنْقِطاعى[3] وغُرْبَتى ... إليكِ ثَوابٌ منكِ دَيْنٌ ولا نَقْـد
وقَد يُبْتَـلَى قَوْمٌ ولا كَـبَلِيَّتى ... ولا مِثْلَ جَدِّى[4] فى الشَّقاء بكم جَدّ
غَزَتْنى[5] جُنودالحُبِّ من كُلِّ جانبٍ ... إذا حانَ من جُنْدٍ قُفُولٌ[6] أَتى جُنْد

(١) الأناة : الانتظار .

(٢) العولة : رفع الصوت بالبكاء . (٣) فى الأصل : « رغبتى » .

(٤) الجد : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « وجدى ... وجد » .

(٥) فى الأصل : «عرتنى » . (٦) القفول : الرجوع .

نوفل بن مساحق والمجنون

وحَكَى نَوْفَل بن مُسَاحق قال :

قدمتُ البادية فسألتُ عن المجنون ، فقيل: توَحَّش وما لنا به عَهْد ، ولا نَدْرى إلى أين صار . فخرَجْتُ يَوْماً أتصيَّد الأَرْوَى[1] ، ومعى جماعةٌ من أصحابى ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى ، إذا نحن بأَراكةٍ[2] عَظيمة ، وقد بَدا منها قِطِيع ظِباء ، وفيها شَخْص إنسان يُرى من خَلَل تلك الأراكة[3] ، فعَجِبَ أصْحابى من ذلك ، فعَرفتُه وأَتَيتُه وعرفتُ أنه المجنونُ الذى أُخْبِرتُ عنـــه . فنزلتُ عن دابَّتى وتخفَّفْتُ من ثِيابى وخَرجْتُ أَمْشى رُوَيْداً ، حتى أتَيْتُ الأَراكةَ ، فارْتَقَيْتُ حتى صِرْتُ فى أعْلاها ، وأَشْرَفْتُ عليه وعلى الظِّباء ، فإذا به قد تدلَّى الشَّعرُ على وَجْهِـه . فلم أكَدْ أَعْرِفُه إلّا بعـدَ تَأَمُّلٍ شَديد ، وهو يَرْتعى من ثمَرِ تلك الأراكة ، فرَفع رأسَه ، فتمثَّلْتُ ببَيْتٍ من شِعْره :

أَتَبْكِى على لَيْلَى ونفسُك باعَـدتْ مَزَارَكَ مِن لَيْلَى وشِـعْبَا كُما مَعَـا

قال : فنفَرَتِ الظِّبَاء ، واندَفَع فى باقى القَصيدة يُنْشِدُها ؛ فما أَنْسى [حُسْن] نَغمَته وحُسْنَ صَوْته ، وهو يقول :

فما حَسَنٌ أَنْ تَأْتِىَ الأَمْرَ طائعا وتَجْزَعَ أَنْ داعِى الصَّـبابة أَسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِىَ اليُسْرَى فلمَّا زَجَرْتُها عَن الجَهْلِ بعـد الحِلْمِ أَسْبَلَتا مَعا
وأَذْكُر أيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِى على كَبِدى من خَشيَةٍ أن تَصَدَّعا
فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برَواجِعٍ عليكَ ولـكنْ خَلِّ عينيكَ تَدْمَعا
معى كُلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذِلاتِه بوَصْلِ الغَوانى من لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعا
إذا راحَ يَمْشِى فى الرِّداءَيْنِ أَسْرَعَتْ إليـه العُيُون النَّـاظِراتُ التَّطَلُّعا

قال : فَسقط مغشيًّا عليه . فتمثَّلْتُ بقوله :

---

(١) الأروى : الوعول ، وهى تيوس الجبل ، الواحدة : أروية .
(٢) الأراكة : من الأشجار الكثيرة الورق والأغصان . تتخذ المساويك من أغصانها .
(٣) فى الأصل : « ذلك الأراك » .

يادارَ لَيْلَى بِسقْطِ[1] الحِىّ قد دَرَسَتْ إلّا الثُّمَامَ[2] وإلّا مَوْقِدَ النَّارِ
ما تَفْتَأُ الدَّهْرَ من ليْلَى تمُوتُ كذَا فى مَوقِفٍ وقفتْـه أو على دار
أَبْلَى عِظَامَك بعـدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَها كمايُنَجِّب قِدْحَ الشَّوْحَطِ[3] البَارى

فرَفَع رأْسَه إلىَّ وقال : مَن أنتَ حَيَّاكَ الله ؟ فقلتُ : أنا نَوْفلُ بن مُساحِق . فحيّانى . فقلْتُ له : ما أَحْدَثْتَ بعدِى فى يأسِكَ منها ؟ فأَنْشَدَنى :

أَلاَ حُجبَتْ لَيْلَى وآلَى أَمِيرُها علىَّ يَميناً جَاهِداً لا أَزورُها
وأَوْعَدَنى فيها رِجَالٌ أَبُوهُم أَبى وأَبُوها خُشِّنَتْ لى صُدُورُها
على غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّى أُحِبُّها وأَنّ فُؤادِى رَهْنُها وأَسِيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له الظِّبَاء ، فقام يَعْدُو فى آثارِها حتى مَضَى معها .

سبب توحش المجنون.

وقيل : لمَّا قال المَجْنون :

قَضَاها لِغَيْرِى وابْتَلانى بِحُبِّها فهَلَّا بِشَىءٍ غيرِ لَيْلَى ابْتَلانِيا

نُودِىَ فى اللَّيْل : أَنْتَ المُتَسَخِّطُ لِقَضَاء الله وقَدَره ، والمُعْتَرِض فى أَحكامه ! واختلِس عَقْلُه ، وتوَحَّش منذ تلك السَّاعة ، وذَهب مع الوَحْش على وَجهه .

وهذا البَيْتُ من قصيدة منها الأبيات التى فيها الغناء ، وافْتتح بها أبو الفَرج أَخْبَارَ المجنون ، وهى :

إذَا ما طَوَاكِ الدَّهْرُ يا أُمَّ مَالِكٍ فَشَأْنَ المَنَايا القاضِياتِ وشَانِيا
تمُرُّ اللَّيالِى والشُّهورُ وتَنْقَضِى وحُبُّكِ لا يَزْدَادُ إلّا تمَادِيا

---

(١) سقط الحى ، أى حيث انقطع الرمل ورق .

(٢) الثمام : نبت من نبات البادية لا يطول ، وكانوا يسدون به خصائص البيوت .

(٣) ينجب : يقشر . والقدح : السهم . والشوحط : ضرب من أشجار الجبال تتخذ منه القسى.

خَلِيلَيَّ أن دارت على أُمِّ مَالِكٍ صُرُوف اللَّيَالى فابْغِيَا لىَ ناعِيا
ولا تَتْرُكانى لا نَجِيرٍ مُعَجَّلٍ ولا لِبَقَاء تَنْظُرَانِ بَقَائِيا

ومنها :

أَعُدُّ اللَّيَالى لَيْلَةً بعد ليلةٍ وقد عِشْتُ دَهْراً لا أَعُدُّ اللّياليا
أَرَانى إذا صلَّيتُ يَمَّمْتُ نَحْوها بِوَجْهى وإنْ كان المُصَلَّى وَرائيا
وما بِىَ إشْرَاكٌ ولكنّ حُبَّها كَمِثْلِ[1] الشَّجَا أَعْيَا الطَّبيبَ المُدَاوِيا
أُحِبُّ من الأَسْماء ما وَافَقَ اسْمَها وأَشْبَهَه أو كان منه مُدَانِيا
وخَبَّرْتُمانى أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصيفُ أَلْقَى المَرَاسِيا
فهذى شُهُورُ الصّيف عنَّا قد انْقضت فما للنَّوَى تَرْمِى بَلَيْلَى المَرَامِيا
فلو كان واشٍ باليمامة دَارُه ودَارِى بأَعْلَى حضْرموتَ اهْتدى لِيا
وماذا لهم لا أَحْسَنَ الله[2] حِفْظَهُم من الحَظِّ فى تَصْرِيم لَيْلَى حِبَاليا
فأنتِ التى إن شِئْتِ أشقيْتِ عيشَتى وإن شِئْتِ بعد الله أنْعَمتِ بالِيا
وأنْتِ التى ما مِنْ صَدِيقٍ ولا عِدًا يَرَى نِضْوَ[3] ما أَبْقَيْتِ إلّا رثَى لِيا
أَمَضْرُوبَةٌ لَيْلَى على أَنْ أَزورَها ومُتَّخِذٌ ذَنباً لها أَنْ تَرانيا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاء رَأَيْتُنى أُصَانِعُ رَحْلِى أن تَمِيلَ حِيَاليا
يَميناً إذا كانتْ يَميناً وإن تَكُنْ شِمالاً يُنازِعْنِى الهَوَى عن شِماليا
هى السِّحْرُ إلّا أنَّ للسِّحْرِ رُقْيَةً وإنِّىَ لا أُلْفِى[4] كَنَفْسِى[5] راقيا

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كعود » .

(٢) فى الديوان : « حالهم » مكان « حفظهم » .

(٣) نضوه : جسمه الذى أضناه الحب وابلاه .

(٤) فى الأصل : « لاألقى » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وانى لا ألـ ـها الدهر راقياً » .

من شعر المجنون

ومما يُروى له :

تَكادُ يَدى تَنْدَى إذا ما لمستُها ... ويَنْبُتُ فى أطْرَافِها الورقُ الخُضْرُ
أبى القَلْبُ إلّا حُبَّهـا عامِرِيَّةً ... لها كُنْيَةٌ عَمْرو وليس لها عَمْرو

وقيل :

المجنون ورجل مر به

مَرَّ رجلٌ بالمَجْنُونِ وهو جالسٌ يَخُطُّ فى الأرضِ و يَعْبَثُ بالحَصَى، فسَلَّم عليه وجَلس عنده ، فأقْبل يُخَاطبه و يَعِظُه و يُسَلِّيه ، وهو يَنظُرُ إليه و يَعْبَثُ بيَدِه ، كما كان يَعبثُ وهو مُفَكِّرٌ قد غَمره ما هو فيه. فلمّا طال خِطابُه إيّاه ، قال له : يا أخِي ، أمَا لِكَلامى جَواب ؟ فقال له : والله يا أخى ما عَلِمْتُ أنَّكَ كلَّمتَنى ، فاعْذُرنى ، فإنى كما تَرى مَذهُوبٌ بى ، وبَكَى . ثم أنشأ يقول :

وشُغِلْتُ عن فَهْمِ الحديثِ سِوَى ... ما كان مِنْكِ فإنّه شُغْلِى
وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثى لِيَرى ... أنْ قد فَهِمْتُ وعندكم عَقْلى

وقيل :

للمجنون وقد مر بواد يتجاوب حمامه

مَرَّ المجنونُ بِوَادٍ فى أيَّام الرَّبيع ، وحَمَامُه يَتَجاوب ، فأنشأ يقول :

أَلَا يا حَمَامَ الأَيكِ مَالَكَ باكِياً ... أَفارَقْتَ إلْفًا أمْ جَفاكَ حَبِيبُ
دَعاكَ الهَوى والشَّوْقُ لما تَرَنَّمَتْ ... هَتُوفُ[1] الضُّحَى بين الغُصُونِ طَرُوب
تُجاوِبُ وُرْقًا قد أَذِنَّ[2] لِصَوْتِها ... فكلٌّ لِكُلٍّ مُسْعِدٌ[3] ومُجِيب

له فى زوج ليلى

وقيل: لما بلغ المجنون، قبل توحشه، أن زوج ليلى ذكره وعَضهه وشتمه وقال : أو بلغ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعى محبة ليلى ويُنوه باسمها! فقال ليغيظه بذلك:

لئن كان فيكم بَعْلُ ليلى فإننى ... وذى العرش قد قَبّلتُ ليلى ثمانيا
وأشهد عند الله أنى رأيتها ... وعشرون منها أصبعا من ورائيا
أليس من البلوى التى لا شوى[4] لها ... بأن زُوجت كلباً وما بذلت ليا

(١) الهتوف : الحمامة تنوح .
(٢) أذن : استمعن وأصغين .
(٣) مسعد : أى ينوح لنوح غيره .
(٤) شوى لها ، أى لا بقيا لها .

له وقد أبت رفقة أن تعدل معه الى طريق ليلى

وقيل :

خَرَجَ المَجنون فى عِدَّةٍ من قَومه يُريدون سفراً لهم ، فمَرُّوا فى طَرِيق يَتشعَّبُ طَرِيقَيْن ، أحـدُهما ينزله رَهْطُ لَيلى ، فَسَأَلهم أن يَعْدِلُوا معه فى تلك الجهـة . فأَبَوْا ، ومَضَى وحدَه ، وقال :

أَأَتركُ لَيْلى ليس بَيْنى و بينها ... سِوَى لَيْـــلَةٍ إنى إذاً لَصَبُورُ
هَبُونى امْرَأً منكمْ أَضَلَّ بَعِيرَه ... له حُرْمَةٌ إنَّ الذِّمام كَبِير
وللصَّـاحب المَتْروك أَعْظَمُ حُرْقَةً ... على صَاحِبٍ من أَنْ يَضِلَّ بَعِـير
عفَا الله عن لَيلى الغَـدَاة فإنَّهـا ... إذا وَلِيَتْ حُـكْمًا علىَّ تَجُور

له وقد هتفت حمامة

وذُكر : أنّ المجنونَ كان ذاتَ ليلةٍ جالساً مع أصحَابٍ له من بَنِى عَمِّه ، وهو وَلِهٌ يَتَلَظَّى و يَتَململُ ، وهم يَعِظُونه ويُحادثونه ، حتى هَتَفَتْ حَمَـامةٌ من سَرحَةٍ[1] كانت بإزائهم ، فوثب قائماً ، وقال :

لقد هتفتْ فى جُنْح لَيْـلٍ حَمَامةٌ ... على إلْفِهـا تَبكِى و إنى لنَائمُ
كَذبتُ و بَيْتِ الله لو كنتُ عاشقاً ... لَمَـا سَبَقَتْنِي بالبُـكاء الحمـائم

ثم بكى حتى سـقط على وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عليـه ، فما أَفاق حتَّى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدِه .

له وقد مر به نفر من اليمن

وذُكر: أنَّ نَفراً من اليَمن مَرُّوا بالمجنون،فوقفوا ينظرُون إليه ،فأنشأ يقول :

ألا أيُّها الركب اليمـانون عَرِّجوا ... علينا فقـد أمسى هَوانا يمانيَا
نُسائلـكم هل سال نَعمان بعدنا ... وحَبَّ إلينا بطن نَعمان واديا

(١) السرحة : من الشجر الذى لا شوك فيه ، وقيل : هو شجر يطول .

ومن هذه القصيدة :

أَلاَ يا حَمَامَىْ قصرِ وَدَّان[1] هِجْتُما ... عَلَىَّ الهَوَى لما تَغَنَّيْتُما لِيَا
وأبكيتُمانى وَسْطَ صَحْبى ولم أَكُن ... أُبالِى دُموعَ العينِ لو كنتُ خَالِيا
أَلاَ يا خليلى حُبَّ لَيْلَى مُجَشِّمى ... حِياضَ المَنايا أَوْ مُقيدى[2] الأَعادِيا
فيأيُّها القُمْرِيَّتَانِ تَجاوَبا ... بلحنَيْكما ثم اسْجَعا عَلِّلانيا
فإن أنتُما استطْرَبْتُما[3] وأردتُما ... لَحَاقاً بأَطْرَافِ الغَضَى فاتْبَعانيا

له حين بلغه رحيل زوج ليلى بها

ذُكر أنه لما بَلَغَ المجنونَ أنّ زَوْجَ لَيْلى قد أَزْمَع الرَّحيلَ إلى بلده ، قال :

أَمُزْمِعَةٌ لِلْبَيْنِ ليلَى وَلَمْ تَمُتْ ... كأنَّكَ عَمَّا قد أَظَلَّكَ غَافِلُ
ستَعلم إن شَطَّتْ بهم غرْبَةُ النَّوى ... وزالُوا بليلَى أَنَّ لُبَّكَ زائِلُ

وقيل :

هو مع رجلين صادا ظبية وسألهما حلها

مَرَّ المجنونُ برجُلَين قد صادا ظَبيةً ، فربطاها بحبْلٍ وذَهبا بها ، فلمّا نَظر إليها وهى تَرْكُض فى حِبالها دَمَعتْ عَيناه وقال لهما : حُلَّاها وخُذا مكانَها شَاةً من غَنَمى — وقيل : بل خُذا مكانَها قَلُوصاً من إبلى — فأعْطاهما ، وحَلَّاها . فولَّتْ تَعْدُو هاربةً . وقال المجْنُون للرَّجُلَيْن حِينَ رآها فى حِبالها :

يا صاحِبَىَّ اللذَيْنِ اليومَ قد أَخَذا ... فى الحَبْلِ شِبْهاً لِلَيْلَى ثُمَّ[4] غَلَّاهَا
إنّى أَرى اليومَ فى أَعطافِ شاتِكما ... مُشابِهاً أَشْبَهَتْ لَيْلى فَحُلَّاها

وقال فيها وقد نظر إليها تَعدو أَشدَّ عَدوِ هاربةً مَذعورة :

أيا شِبهَ لَيْلَى لا تُرَاعِى فإننّى ... لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
ويا شِبهَ ليلى لو تَلَبَّثْتِ ساعةً ... لعلَّ فُؤادى من جَوَاهُ يُفيق
تَفِرّ وقَدْ أطلقتُها من وَثَاقها ... فأنتِ لِلَيْلَى لو عَلمتِ طَلِيق

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٠٨) من هذا الجزء .
(٢) مقيدى الأعاديا ، أى جاعل قيادى فى يد الأعداء .
(٣) استطربتما : طلبتما الطرب . (٤) غلاها : وضعا الغل فى عنقها .

هو مع نسوة عزلنه فى حب ليلى

وذُكر أنّ نِسوةً جَلسنَ إلى المجنونِ فقلنَ له : ما الذى دعاكَ إلى أن أحللتَ بنفسكَ كُلَّ ما نرى فى هَوَى لَيْلى ، وإنما هى امرأةٌ من النِّساء ؟ وهل لك فى أن تَصْرِف[1] هواكَ إلى إحدانا فنُساعِفَك ونَجْزِيَك بهواكَ ، ويَرجعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنَّ : لو قَدرتُ على صَرْفِ الهوى عنها إليكنَّ لَصرفتُه عنها وعن كُلِّ أَحَدٍ بعدها ، وعِشتُ فى النَّاس سَوِيًّا مُستريحاً . فقلنَ له : فما أَعجبكَ منها ؟ قال : كل شىء رأيتُه وسمعتُه وشاهدتُه منها أَعجبنى . والله ما رأيتُ شَيْئاً منها قَطُّ إلّا كان فى عَينى حسناً ، وبقلبى عَلِقاً . ولقد جَهِدتُ أن يَقبُحَ عندى منها شىء ، أو يَسْمُج أو يُعاب ، لأَسْلُوَ عنها فلم أجده . فقلن له : فَصِفْها لنا . فأنشأ يقول :

بَيضاءُ خالصةُ البياضِ كأنّها ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبْرَدِ
مَوسومةٌ بالحُسْنِ ذَاتُ حواسِدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنَّةٌ للحُسَّد
وتُرى مدامعُها تَرَقْرَقُ مُقْلةٍ ... سَوْداءَ تَرْغَبُ عن سوادِ الإِثْمِد
خَوْدٌ[2] إذا كَثُرَ الكلامُ تَعَوَّذَتْ ... بِحَمَى الحياءِ وَإِنْ تَكَلَّمْ تَقْصِد

وأَنشد ابنُ الأعرابىّ هذا الشِّعرَ ثم قال : هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنقَّح[3] الشِّعر !

رسول بينه وبين ليلى

وقيل :

قال رجلٌ من عَشِيرة المَجنون له : إنّى أُريد الإلمامَ بحَىِّ لَيْلى ، فهل تُودِعُنى إليها شيئاً ؟ قال : نعم . قِفْ بحيث تَسْمَعك ثم قُلْ :

اللهُ يعلم أنّ النفسَ قد هَلَكتْ ... باليأسِ منكِ ولكنِّى[4] أُعَزِّيها

(١) فى الأصل : «نصرف» بالنون .
(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نصفا .
(٣) فى الأصل : «وغنج» . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «أعنيها» .

مَنَّيتُكِ النفسَ حتى قد أَضَرَّ بها وأستيقنتْ [1] خَلفاً مما أُمَنِّيها
وساعةٌ منكِ ألْهُوها و إن قَصُرتْ أشْهى إلىَّ من الدُّنيا وما فيها

فمضى الرجلُ ولم يَترقَّب خَلوةً حتى وقف على لَيْلى فقال . ياليلى ،لقد أحسن الذى يقول :

* الله يعلمُ أنَّ النفسَ قد هلكتْ *

وأنشدها الأبيات . فبَكَتْ بُكاءً طويلاً ، ثم قالت : أبْلغه السَّلامَ وقل له:

نَفْسِى فِداؤكَ لو نَفْسِى ملكتُ إذاً ما كان غيرُكَ يَجْزِيها ويُرْضيها
صَبراً على ما قضاه اللهُ فيكَ على مرارةٍ فى اصْطِبارى عنك أُخْفيها

فأبلغه الفتى البيتَيْن وأخبره بحالها . فبَكى حتى سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه ، ثم أفَاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذرىِّ أَضحى أَحاديثاً لقومٍ بعد قومِ
وعروةُ مَات موتاً مستريحاً وها أنا ميِّتٌ فى كل يومِ

هو ورجل دسه اليه أبوه بذم ليلى

وقيل :

سأل المُلوّح ، أبو المَجنون ، رجلاً قَدِمَ من الطَّائف أن يمرَّ بالمجنون فيجلس إليه و يُخْبره أنه لَقِى لَيْلى وجلس إليها ، ووصفَ له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ ، وقال : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتــه اشْرأَبَّ لحديثك واشْتهاه فعرِّفه أنك ذَكرتَه لهـا وَوصفتَ ما به فَشتمته وسَبَّتْه وقالت : إنه يَكْذِبُ عليها و يُشَهِّر بها بفعله ، و إنها ما اجْتمعت معـه قطُّ كما يصف . ففعل الرَّجلُ ذلك ، وجاء إليـه فأخبره بلقائه لها . فأقبل عليه وجعل يَسأله عنها ، فيُخبره بما أمره به المُلوّح ، فيزداد نشاطا و يثوب إلى عقله ، إلى أن أخبره بِسبِّها إيَّاه وشتمها له . فقال ، وهو غيرُ مكترثٍ لما حكاه عنها :

(١) فى الأصل : « وأبصرت » .

تمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِى(١) الحِمَى ... ويَصدعُ قلبى أنْ يَهُبَّ هُبوبُهَا
إذا هَبَّتْ الرِّيحُ الشَّمالُ فإنّمـا ... جَوَايَ بما تُهْدِى(٢) إليه جَنُوبُهَا
قَرِيبَـةُ عَهْدٍ بالحَبِيبِ وإنّمـا ... هَوَى كُلَّ نَفْسٍ حَيْثُ حلَّ حَبِيبُهَا
وحَسْبُ اللَّيالِى أنْ طَرَحْنَكَ مَطْرَحًا ... بدَارِ قِلًى تُمْسِى وأنتَ غَرِيبُهـا
حَلَالٌ لِلَيْلَى شَـتْمُنا وانْتِقاصُـنا ... هَنِيئًا ومَغْفورٌ لِلَيْلَى ذُنُوبُهـا

ليلى ورجل من بنى مرة

وذُكر : أنّه خَرج رجل من بَنى مُرَّةَ إلى ناحيةِ الشَّام والحِجاز ، وما يَلى تَيْماءَ(٣) والسَّرَاةَ(٤) وأرضَ نَجْد، فى طَلَبِ بُغْيةٍ له ، فإذاهو بخَيْمةٍ قد رُفِعَتْ له، وأصابه المَطرُ فعَدَل إليها وتَنَحْنح ، فإذا امْرأةٌ قد كلَّمتْه وقالت : أنْزِلْ، فنزل . وراحتْ إبِلُهم وغَنَمهم ، فإذا أمرٌ عَظيم. فقالت : سَلُوا هذا الرَّجلَ من أين أقْبل . فقلتُ : من ناحية تِهامةَ ونَجد . فقالت : أدخُل أيُّها الرّجلُ . فدخلتُ إلى ناحية الخَيمة ، فأرختْ بَيْنى و بينها سِـتْراً ، ثم قالتْ : يا عبدَ الله ، أىَّ بلاد نَجـدٍ وطِئْتَ ؟ فقلتُ : كلّها . قالت : فيمن نزلتَ هناك ؟ قلتُ : ببنى عامر . فتنفّست الصُّعَداءَ ثم قالتْ : فبأىِّ بنى عامر نزلتَ ؟ فقلتُ : ببنى الحَرِيش . فاسْتعبرت ثم قالت : هل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقـال له : قيس بن الملوّح ، و يُلقّبُ بالمَجنون ؟ قلت : بلَى والله ، وعلى أبيه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يَهيم فى تلك الفَيافى و يكونُ مع الوحش ولا يَعقِل ولا يَفهم ، إلّا أن تُذكر له امرأةٌ يُقال لهـا : ليلى ، فيبكى و يُنْشد أشعاراً فيهـا . قال : فرفعتِ السِّتْرَ بينى و بينها ، فإذا فِلْقَةُ قَمَرٍ لم ترَ عَيْنِي مِثْلَها . فبكتْ حتى ظننتُ والله أن قَلْبَها قد انصـدع .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الغضى » مكان « الحمى » .

(٢) فى بعض أصول الاغانى : «إلى» مكان «إليه» .

(٣) تيماء : بليدة فى أطراف الشام .

(٤) السراة : أعلى الجبال التى تحجز بين تهامة ونجد .

فقلتُ : أيّتها المرأةُ ! أتّقِ اللهَ ! فما قلتُ بأساً . فمكثتْ طويلاً على تلك الحالِ من البُكاء والنَّحِيب ، ثم قالت :

ألاَ ليتَ شِعْرِى والخطوبُ كثيرةٌ متى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجِعُ
بِنَفْسِىَ مَن لا يَستقِلُّ بِنَفْسه ومَن هو إنْ لم يَحفظِ اللهُ ضائِع

ثم بكتْ حتى سقطتْ مَغْشِيًّا عليها . فقلتُ لها : مَن أنت يا أَمةَ الله ؟ وما قِصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليْلى صاحبتُه المشئومةُ واللهِ عليه ، غيرُ المُؤاسية له . فما رأيتُ مثلَ وَجْدِها وحُزنها عليه قطُّ .

وقيل :

المجنون وقد مر بليلى

مَرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بليْلى وهى تمْشى فى ظاهر البُيوت ، بعد فَقْدٍ لها طويل . فلما رآها سَقط على وجهه مَغْشِيًّا عليه . فانصرفتْ خَوْفاً من أَهلها أن يَلْقَوْها عنده . فمكث كذلك مَليًّا ثم أفاق ، وأنشأ يقُول :

بَكى فرحاً بِلَيْلَى إذ رآها مُحِبٌّ لا يَرى حَسَناً سِوَاها
لَقَدْ ظَفِرتْ يداه وطاب عَيْشًا لئن كانتْ تَراه كما يَراها

حديث رجل عامرى عن المجنون

وذَكر رجلٌ من بنى مُرّةَ أنّه خَرج إلى أرض بنى عامِرٍ لِيلقَى المجنونَ ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلَّتِه فأتيتُها[٢] ، وإذا أبوه شيخٌ كَبير وإخوةٌ له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرةٌ وخَيْرٌ ظاهر ، فسألتُهم عنه . فاستعْبَروا جميعاً ، وقال الشيخُ : واللهِ لهو كان آثَرَ هؤلاء عندى وأحبَّهم إلىَّ ، وإنه هَوِى امرأةً من قومه ، واللهِ ما كانت تَطمع فى مِثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها ، كره أبوها أن يزوِّجها منه بعد ظُهور الخبر ، فزوَّجها من غيره ، فذَهب عَقلُ ابنى ولَحِقه خَبَلٌ ، وهَامَ فى الفيافى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المؤنسة » .
(٢) الأصل : « فأتيناه » .

وجدًا عليها . فحبسناه وقيّدناه، فكان يَعضّ لسانَه وشفتيه حتى خِفنا عليه ، فخلينا سبيله . فهو يهيم فى هذه الفيافى مع الوُحوش ، يُذْهَبُ كلَّ يومٍ إليه بطعامه فيُوضَع حيثُ يَراه ، فإذا تَنَحَّوْا عنه جاء وأكل منه . فسألتُهم أن يَدُلُّونى [عليه . فدلُّونى] على فتًى من الحيِّ كان له صديقاً ، وقالوا : إنَّه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه إلّا هو . فأتيتُه فسألته أنْ يدُلَّنى عليه . فقال : إن كنتَ تُريد شِعْره فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أَمْس عندى ، وأنا ذاهبٌ إليه غداً ، فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به . فقلتُ : بل تدُلّنى عليه لآتيَه . فقال : إنْ نَفر منك نَفر منّى فيذهبُ شِعْرُه . فأَبَيْتُ إلّا أنْ يدُلَّنى عليه . فقال : أُطْلُبْه فى هذه الصَّحارى ، فإذا رأيتَه فادْنُ منه مُسْتَأنساً ولا تُرِه أنّك تَهابه ، فإنه يتهدَّدك ويتوعَّدك أن يَرْمِيَك بشىء ، فلا يَرُوعنَّك ، وأصرف بصرَكَ عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سَكن مِن نِفَاره فأَنْشِدْه شِعْراً غَزِلاً ، وإن كنتَ تَرْوِى شِعْرَ قَيْسِ بنِ ذَرِيح فأَنْشِدْه إيّاه فإنّه مُعْجَبٌ به . فخرجتُ فطلبتُه يَوْمى إلى العصر ، فوجدتُه جالساً على رَمْلٍ قد خَطَّ فيه بإصْبعه خُطوطاً ، فدنوتُ منه غير مُنقبضٍ، فنفر منّى نُفورَ الوَحْش من الإنْسِ ،و إلى جانبه أحجارٌ ، فتناول حجراً فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنّه نافرٌ يريد القيامَ . فلما طال جلوسى سَكن فأقبل يَخُطّ بإصبعه ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : أَحسنَ والله قَيْسُ ابن ذَرِيح حيثُ يقول :

أَلاَ يا غرابَ البَيْنِ وَيْحكَ نَبِّنى ... بِعِلْمِكَ فِى لَيْلى وأنتَ خَبِيرُ
فإن أنتَ لم تُخْبِر بشىء عَلِمْتَه ... فلا طِرْتَ إلّا والجناحُ كَسِير
ودُرْتَ بأَعداءِ حَبيبُكَ فيهمُ ... كما قد تَرانى لِلْحَبيب أَدُور

فأقبل علىّ وهو يبكى ، فقال : أَحسن والله ! وأنا أحسنُ قَوْلاً منه

حيثُ أقول :

كأنّ القَلْبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ أو يُرَاحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجَاذِبُه وقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ

قال : فأمسكت عنه هُنيهَة ، ثم أقبلتُ عليه فقلتُ : أحسن والله قَيسُ بن ذَرِيح حيثُ يقول :

وإنّ لَمُفْنٍ دمعَ عَينيَّ بالبُكَا ... حِذَارَ الذى قد كان أوْ هو كائِنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فِراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيَّتى ... بكَفَّيكِ إلّا أنّ من[1] حَانَ حائن

قال : فبكى والله حتى ظننتُ أن نفسَه قد فاظتْ ، وحتى رأيتُ دُموعَه قد بَلّتْ الرملَ الذى بين يديه . وقال : أحسنَ لَعَمْرُ اللهِ ، وأنا والله أشعرُ منه حيثُ أقول :

وأَدْنَيتِنِي حتَّى إذا ما سَبَيْتِنى ... بِقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ[2] الأباطح
تنـاءيْتِ عنّى حين لاليَ حِيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

قال: ثم سَنحتْ له ظبيةٌ فوثب يَعدو خلفها حتى غاب عنّى ، وانصرفتُ وعُدتُ من غد فطلبتُه فلم أجدْه ، وجاءت امرأةٌ ، تصنع له طعاماً ، إلى الطعام فوجدتْه بحاله . فلمّا كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا ، فلم نجده ، وغدونا فى اليوم الرابع نَسْتَقْرى أثرَه ، حتى وجدناه فى وادٍ كثير الحجارة خشن وهو ميِّت بين تلك الحجارة . فاحتمله أهله فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه .

---

(١) فى الديوان : « ما » .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . يريد أن قولها يستنزل العصم من مساكنها فى الجبال إلى الأباطح السهلة .

تجيعة أهله به

قيل :

إنّه لم تبق فتاةٌ من بنى جَعْدَةَ ولا بَنى الحَرِيش إلّا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندُبه . واجتمع فتيان الحىِّ يبكون عليه أحرَّ بكاء . ويَنْشِجُون أشَدَّ نشيج ، وحضرهم حَىُّ لَيْلى معزِّين وأبوها معهم . فكان أشدَّ القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول : ماعلمتُ أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنى كنت امرأً عربيًّا أخاف العار وقُبح الأُحْدُوثة وما يخافه مثلى ، فزوَّجتُها وخرجتْ عن يدى ؛ ولو علمتُ أنّ أمره يَجرى على هذا ما أخرجتُها عن يده ، ولاحتملتُ ما كان فى ذلك .

قال : فما رُئِى يومٌ كان أكثَر باكياً وباكيةً على ميّت منه .

من شعره الذى وجدوه معه

وذُكر: أنه لما قلّبوه وجدوا خِرْقةً فيها مكتوب :

ألا أيُّها الشَّيخُ الذى ما بنا يَرْضَى ... شَقِيتَ ولا هُنِّيت من عَيْشك الخَفْضَا

شَقِيتَ كما أشْقيتَنى وتركْتَنى ... أَهِيمُ مع الهُلّاك لا أطعم الغَمْضا

كأنّ فُؤادى فى مَخالب طائر ... إذا ذُكرتْ لَيْلى يَشُدُّ(١) به قَبْضا

كأنّ فِجَاج الأرض حَلْقةُ خاتَم ... علىّ فما تَزداد طُولاً ولا عَرْضا

مما يروى له

ومِمّا يُروى للمَجنون :

وما أُشْرِفُ الأَيْفاعَ(٢) إلّا صَبَابَةً ... ولا أُنْشِد الأَشْعار إلّا تَدَاوِيَا

وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَين بعد ما ... يظنّان كلَّ الظَّن(٣) ألّا تلاقِيَا

لَحَى اللهُ أقواماً(٤) يقولون إنّنى ... وجدتُ(٥) طَوَالَ الدَّهر للحُبِّ شافيا

---

(١) به، أى بالفؤاد . وهو مذكر لا غير . وفى بعض أصول الأغانى : « بها » أى بالمخالب .

(٢) الأيفاع : جمع يفع ، وهو ما أشرف وعلا من الرمل .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : «جهد الظن» أى غايته .

(٤) لحى الله أقواما ، أى قبحهم ولعنهم وأبعدهم . (٥) فى الأصل : « أننا * وجدنا » .